اولاً
مكانة المرأة في الأساطير والأديان

ان نستلهم نظرة واقعية عبر مسار تأريخي حول قضية المرأة ، سوف نضطر العودة الى بدايات مسيرة التطور الأنسانى، كونها جزءاً من طبيعة الحيوانات الثديّة. ثم المرور بمراحل التطور الأنسان البشري، بأعتبار الأنسان، هو حصيلة الأنتاج المتقدم والتطور الجمعي. الأمر هذا ، يتطلب دقة النظر في موضوعين: الأول: دراسة الأنسان كجزء من الطبيعة ، الثانى: دراسة الأنسان بأعتباره انتاجا للمجتمع الذي يعيش فيه. في كلا الآمرين لا يمكن تجريد الأنسان عن اطار عالمه الطبيعي المحيط به، فهو يشكل جزءاً من عالمه المادي والمعنوي.
دون شك تبني هذا المنظور من قبلي، يأتي عن دراية وعلم بالأتجاه اللاهوتي والنظريات الأخرى، التي انبنت على اسس الفكر اللاهوتي والفطرية حول التطور الأنساني. وفي كتابي هذا ، سأحاول قدر الأمكان الأبتعاد عن المقارنات الفكرية على اختلاف الوانها وانواعها حول هذا الموضوع، كي يكون بالمستطاع تفسير وتحليل نظريتي الخاصة، ولكن في المكان المناسب-لأستفاضة الوضوح- اتقافز نحو الأتجهات الفكرية الأخرى في السياق نفسه.
في هذه الحاضرة، الجزء الاكبر من النظريات المسبقة، حول مفهوم الأنسان، التي نوقشت من قبل العلوم الطبيعية والأجتماعية، وتمخضت منها استنتاجات علمية كثيرة. وهذا بحد ذاته سبب كافٍ بالنسبة لي واقراني في المهنة، ان لا ينشغل بالنا بهذا الجانب، الذي لا يدخل ضمن مجال عملنا. ولأجل اثبات

مصداقية قراءتي التاريخية الخاصة، سوف اشير فقط الى نتائج الدراسات العلمية في مجالاً بحثي المتواضع هذا.
الأنسان هو جزء من الحيوانات الثدية، وفي الكثير من المجالات الطبيعة ، من حيث التكوين النوعي، يتبع النموذج الذي فرضتها الطبيعة عليه من دون كل الحيوانات المماثلة له. اذا ما دققنا النظر في اياناث بعض الحيوانات مثل الاسد، الذئب، الدب، قردة الشامباز، الحصان، والثور، سوف نجد انها من حيث الطاقة والقدرة والطبائع، تختلف كلياً عن الذكور منهم. لذا نجد ان الذكور معرضة لمشاكل صحية اقل مقارنة بالأنثى، ونجد ايضاً انها اقصد ذكور الحيوانات يقومون بعملية الصيد، يبحثون عن الطعام، يتقاتلون، يحملون العبء، يتناكحون. مقابل ذلك، تقوم الأيناث بالتكاثر والحمل. خلال عملية الطبيعة هذه تتكبد الانثى عناء الكثير من مشقات المرض والآلام، كما تقوم بأرضاع ورعاية اطفالها. وتكون طبائعها اكثر هدوءاً واقل توحشاً. ومعروف عن اياناث الحيوانات بشكل عام انها اقل مشاركة في عمليات الصيد لأن طاقاتها اقل من الذكور، او انها لاتتحمل الأهوال بقدر الذكور.
وانطلاقا من تلك الأيام التي بدء فيه بني آدم بالأبتعاد شيئاً فشيئاً عن عالم الحيوانات، الا انه، ماكان بمستطاعه انهاء تبعيته للطبيعة الحيوانية التي انحدر منها. وفقاً لعجلة هذا الواقع، نقل نفس الفروقات الطبيعية الموجودة لدى الحيوانات عن طريق بني ادم البدائي الى مجتمعه البدائي. ان العمل لأجل تأمين مصدر حياتي كان السبب الأول والرئيسي في الأن نفسه لكي يحدد الدور الأجتماعي عند بني ادم. لم تكن هذه كفيلة بخلق الأختلاف بين الرجل والمرأة فقط، بل تسبب في ابراز تلك الفروقات اكثر واكثر. اضافة الى الكثير من الأعمال مثل: القيام بحفر الجبال من اجل بناء الكهوف، تحمل صعوبة الصيد

في الحر والبرد، او في الجبال والغابات الكثيفة التي يسكنها الوحوش البرية، تنظيم الري وشق الترع والسواقي، ترويض الخيول والجمال وبقية حيوانات الركوب ومئات الأعمال الأخرى التي لا يمكن القيام بها او تحمل مشاقها الا الرجال. في هذا المجال كان دور المرأة يأتي في المقام الثاني وبطبيعة الحال فرضت على النساء تبعية الرجال. فكان دورها يتمحور في تربية ورعاية الأطفال، والمشاركة في مجال الزراعة، ولم تصنف المرأة على موقع اجتماعي متميز يمكنها على الأقل مناصفة الرجال في الحقوق والواجبات.

هناك بعض الباحثين يعتقدون ان المرأة في المرحلة الزراعية لتطور البشرية، كانت للمرأة دورا اكبر من الرجال، حيث استمرت لفترة زمنية طويلة كانت المرأة فيها تمتلك حق السيادة في المجتمع، وقامت بوضع دور الرجل اجتماعيا يأتي في المقام الثاني. وتدعى تلك المرحلة التأريخية النظام الأمومي. الا اني اجد هذه النظرية قد ولدت تحت تاثير عاطفة ايديولوجية وانسانية. لأنه لايوجد ادلة واثار تأريخية تستند عليها هذه النظرية وتثبت صحتها. فمن الممكن في احدى مراحل استقرار البشرية، وفقا للظروف الجوغرافية و التكوين الطبيعي لمنطقة ما وتناسبها مع مرونة سكانها الحضرية، قد اعطت للمرأة دورا اكبر مقارنة بالمناطق الأخرى على وجه البسيطة، لكن لانملك قرائن حضارية من اثار وبقاية ادوات بشرية مثل وجود بعض الأشكال على الأحجار او بعض الرسومات المحفورة فوق الجرات والاباريق والاواني المنزلية، فكلها بأستثناء انها تمثل شواهد لسيادة وسيطرة الرجل لا تمثل ادلة تثبت صحة تلك النظرية. فالأثار والشواهد الموجودة، هي لصيادين ومقاتلين و ابطال جميعهم رجال تجسد بشكل ظاهر اعضائهم الجنسية حتى تثبت لنا اي نوع بشري كان له السيادة في الحياة انذاك. وبالتأكيد سوف اتطرق في الأجزاء الأخرى من الكتاب

للتحدث عن بعض الألهات، والسحرة والمنجمات، اللواتي جسدن في صورة المرأة.

ضعف قوة المرأة ورقة مشاعرها، في الأزمنة الغابرة كانت تعد نقاط ضعف ونقص المرأة. ولم تكن التجربة الأنسانية في تلك المرحلة قد وصلت الى مستوى تناسب تفسير تلك الصفات من منظور انساني بحت. فقد كان بني ادم بحد ذاته مازال بشكل عام داخل عملية انسنة ذاته، كان في المراحل الأكثر بدائية، والعلاقات الأجتماعية كانت مبنية على ضوء المستوى المعرفي لبني ادم في تلك الحقبة. فأذا كان بنو ادم نتاج عملية تأريخية طويلة، فأن مفهوم المعارف الأنسانية كانت في اطوارها الأولى أكثر سذاجة. بمعنى اخر، بدايات تينك العملية التأريخانية كانت في ذروة التقارب الحيوان-الأدمي. لهذا نجد المعتقدات و الرؤى، كانت مبنية على اساس تلك المقاربة.

الدراسات في تأريخ التطور المعرفي الأدمي تثبت، ان المعتقدات الثابتة في بدايات تكوينها، لم تكن الألهات قد ترسخت بعمق في اذهان البشرية. تعود اسبابها الى ان الأدمي في تلك الأزمنة كان مجرد كائن حيواني-طفولي، متجرد من كل الاسس المعرفية او العلمية، حيث كان يحاول عن طريق لغة بدائية ومحدودة الدلالات، مواجهة ذاته الأنسانية والطبيعة في الآن نفسه، كي يستطيع فهم واقع حاله. هكذا نجد المعرفة ومعتقدات ذاك العصر، بالرغم من بدائيتها ونقصها، تم تناقلها من جيل الى آخر، متخذتاً اشكالاً مقدسة كالأساطير والأديان. يمكن تشبيه هذه العملية، بالعملية التربوية، التي تبني شخصية الأطفال وتزرع فيهم الايمان، هكذا كان بني آدم البدائي، يقوم ضمن عملية تكامله بجمع المعلومات البدائية ويصنع تأريخه.

ان ضعف قدرات المرأة الجسدية-مقارنة مع الرجل- يعتبر ظاهرة طبيعية ليس لها علاقة بنقص او خلل في مسار عملية التطور الأنساني. عندما جاء هذا الكيان الطبيعي الى الوجود، اغتنم الرجال الفرصة، خلال عملية العلاقات الأجتماعية، وتم ابرازه (الضعف)، كما اسيء استخدامه، واستغلت لاضطهاد المرأة به، هذا الميل المغروس في طبيعة الرجال يعود الى السلوك الغابوي الذي انطلق منه الأدميين-خاصة الرجال- خلال مرحلة الأنفصال عن القطيع الحيواني، وظل مغروساً في ذاته، وهو مصدر السلوك العدواني الحيواني، الذي فرضه الرجل على البشرية.

من جهة اخرى، رقة احاسيس ومشاعر المرأة مقابل قرينها واطفالها ، الجزء الأكبر منها يعود سببه، الى التكوين الفيزيكي والمعنوي الخاص بنصف المجتمع الأنساني. هذه الصفات نعثر عليها عند بقية انثى الحيوانات الأخرى بدرجات ادنى، لكن المرأة من خلال عملية تأريخية غنية بالعمل والنشاط، ومع توسع مدارات العقل، توصلت الى مستوى وعي متكامل داخل شبكة العلاقات الأنسانية. لاشك ان، المرأة من خلال عمل متواصل دؤوب وطويل روّضت الرجل على الهدوء والتسامح والتعاون مع مثيله في الجنس او النوع، هذا اضافةً الى تجارب وعملية المعرفة في المجتمع، من اجل انسنة بنوادم، من خلال تكوين بنية المرأة العاطفية، رسمت للمرأة دورها الاساسي، ومع هذا الصرح الهائل للعاطفة الانثوية، فحتى لو افترضنا انها مساوية للرجل من حيث القوة والقدرة، فأنها ما كانت بأستطاعتها ، ان تكون شبيهة به من حيث العنف وألأذية.

الأنسان بأعتباره ظاهرة اجتماعية تأريخية، لم يكن يمتلك منذ الانبثاق الاول نظرة شمولية متعمقة، حول الأهتمام والمعاني الأنسانية. نفهم ان السلوك البشري اتجاه بعضهم، شاهد الكثير من العنف ومارسه، وفقاً لاسس و مفاهيم

جد واهية. والا مالذي كان يدفع بالسلوك، للاقبال على قتل الأطفال والنساء والعجزة، ويتحول الى ممارسات اجتماعية ضمن العادات والتقاليد. ذلك العنف الذي كان يمارسه في اوقات الحروب والغزوات بحق بعضهم، ونتجت عنه بكل سماجة عبودية الأخر، وقدم له تفسيرات وتبريرات ساذجة، كل هذا بسبب مجموعة مفاهيم ناقصة وبسيطة تأثرت بها البشرية حين ذاك.

المفاهيم الخاصة حول التمييز ضد المرأة تعود الى تلك الحقبة التأريخية، حيث ان التجربة البشرية عن الذات والأخرين كانت ماتزال محدودة. اضافة الى ذلك، فأن الفروقات الفسلجية ومحدودية قدراتها العضلية اثرت على عملية الأنتاج وتوفير المصادر الحياتية اليومية للبشر.كما اشرت سابقاً، المشاركة والأستمرارية الزائدة في الأنتاج والسيطرة على الطبيعة، تحدد مكانة كل فئة داخل المجتمع. ومازال هذا القانون الى يومنا هذا سائداً في المجتمعات الأنسانية. بطبيعة الحال فأن عجلة التطورالأجتماعي، ادى الى تقدم ادوات الأنتاج وتوسع مجالات العمل، اولدت بدورها، ارضية مادية مناسبة لتوسيع مشاركة المرأة اكثر من السابق، لكن النظرة الرجولية البدائية حول دور المرأة التي طغت على النظرة السائدة في المجتمعات الأنسانية، ادى الى خلق عراقيل اكبر واكثر في طريق مشاركة المرأة. ثم جائت العادات والتقاليد والفروض الدينية المقدسة، لكي ترسخ اكثر، تلك النظرة الدونية الظالمة وقولبتها داخل المفاهيم والنصوص المقدسة الثابتة. في حياة بني آدم ترسخت ظاهرة جديدة، حيث تجاوزها، يؤدي الى قمع جميع المجتمع، هنا، قام البشر بوضع اغلال الأسر،لمرتين، على عقولهم واياديهم. اذا كان في السابق نتيجة، الجهل وعدم المعرفة، حينما وجد ذاته عديم القدرة وعاجزاً امام الطبيعة، فماذا عن اليوم، وقد

استعبده مجموعة معتقدات غير صحيحة، اذن مازال اسيراً، لمجموعة فروض استمدها من معتقدات خورافية وعادات وتقاليد بالية.
في بداية التأريخ، كان من الممكن، ان نعثر على رجل بساقٍ واحدة، يجهل استخدام عصا يتكيءُ عليها و يعوضه عن الساق المفقودة، لكن بعد ان اكتشف ذلك ظل يستخدمه. وان ئيشكالية جسد المرأة وضعف قدراتها العضلية في الأنتاج، شيئاً فشيئا ومع التقدم التقني لأدوات الأنتاج، يصبح بالامكان معالجتها، لكن بالمقابل استمرت العادات والنصوص المقدسة بتطعيم سلطوية الرجل والتنظير لها، وخلق المبررات، التي شكلت رادعاً رئيسياً لتقدم النساء. الى جانب التربية الأجتماعية والقناعة الدينية، حيث بنيت النظام المعرفي لدى النساء وفق العقلية الذكورية، والعمل في سبيل اعتياد المرأة عليها في واقع الحياة.
في هذا العصر، هناك اتجاهات مختلفة، حول اضطهاد المرأة، قسم منها تتبناها الحركات التحررية النسوية-الفمينستية- الناشطة، ويتجه اصبع الاتهام في هذه المسألة نحو الرجال، فأصحاب هذا الاتجاه يعتقدون، ان جوهر الجنس الذكوري بحد ذاته متسلط و متغطرس. وهم يناضلون من اجل استعادة الحقوق المسلوبة منهن. وقسم آخر، يرجح مصدر عبودية المرأة الى الأقتصاد اي الأختلاف الطبقي. وهناك من يتهم الدين ويعتقدون انه الرادع الحقيقي والوحيد في طريق حرية المرأة. في الأجزاء اللاحقة سوف اتحدث عن تلك الأتجاهات مطولاً. واؤكد هنا على دراسة عجلة التطور التأريخي وكشف اسباب حرمان نصف المجتمع من حقوقها، تينك الحرمان الذي غدا عاملاً رئيسياً لتأخر تقدم المجتمع الأنساني. فمن الأفضل، البحث في تلك الأسباب التي مهد الطريق امام العنف الرجولي، الى درجة اضطهاد واستعباد النصف الاخر من

مجتمعه. بكل تأكيد، جذور هذه الفكرة، هي تعود الى مفهوم القوة وكيفية العامل معها، كما تعتبر نتيجة لذلك الادراك، في مراحل الجهل التي كان بني آدم يعيش فيها. كما الحال مع غزو ثروات الحاضرات الأخرى، الذي كان يؤدي الى حروب وقتالات طاحنة بين الجمعات البشرية المختلفة. من ثم ادى الى خلق ظاهرة استعباد البشر بعضهم البعض، والأبادات الجماعية لحضارات عن بكرة ابيها. فكيف كان الأفريقي او الطفل يغدو عبداً!على السياق نفسه استغل ضعف وعدم حيلة المرأة وقادها الى ذات المصير، وفرضت عليها شكل آخر من العبودية. ان تدني مستوى ادوات الأنتاج، واستخدام منطق القوة من قبل الرجل، ماكان فقط عاملاً قوياً لتسهيل عملية اخضاع المرأة لسيطرته، انما شكل دافعاً عند الرجل كي ينشر غزواته وحروبه في العالم كما هو مسلم به تأريخياً.

لقد وصفنا في سياق تفسيرنا لمسألة عملية انسنة بنوآدم، وكيفية تشكل فهمه لمعاني الأنسانية، وأن كل مرحلة من المراحل التي مر بها تختلف عن سابقتها. وعلى هذا الأساس اختلفت الدلالات القيمية من منظور عصرنا هذا، وفقاً لأرتفاع المستوى المعلوماتي، لدى البشر وزيادة سطوته على الطبيعة، في السياق نفسه الفرصة كانت سانحة ومهيئة نسبياً، لكي يقوم الأنسان بدراسة احوال ذاته وعلاقاته الأجتماعية، ومن الزاوية ذاتها نجد المفاهيم حول القيم والمعاني المتعلقة بالأنسان متغيرة نسبياً.

في الصفحات التالية، سوف اعرض المزيد من الدلائل، لتفسير وسبر اغوار الاسس التأريخية، التي انبنت عليها قضية المرأة، من حرمان واضطهاد بحقها كأنسان. حتى نكتشف السبب الفسيولوجي الرئيسي الذي انبنت على اساسه فكرة اضطهاد المرأة؟ وللكشف ايضاً، عن سبب عدم استمرارية عبودية الرجل؟

لماذا تمرد وثار العبيد من الرجال، وفي بعض المناطق تحولوا الى قوى هدمت الأنظمة الاستبدادية، لكن على مدار التأريخ لم نسمع أن النساء قد انتفضت ضد عبوديتها؟ أيعود سبب ذلك الى جهلها ام الى مستوى قدراتها الفيزيكية ام بسبب خصوصياتها البدنية و السايكولوجية؟

تشير الاساطير الى طريقة تفكير الإنسان الأول، منذ انبثاق التأريخ، تطلعات ومخاوف هذا الإنسان البدائي جعله يستمد فكرة الخلق، من قوة غيبية اسمى منه، انقسمت تلك القوة الى مجموعتيـ الأولى آلهات الخير والثانية آلهات الشر. جنس الآلهات في كلتا نوعيها انبت على اسس القوة الذكورية– الرجولية– بشكل عام. لا شك أن اكثرية الاساطير قد ترسخت من خلال الصفات الإنسانية وفقاً لهذا السياق اتخذت صورة الآلهات مزيجاً شكلياً بيـ الانسان وبقية الكائنات من الحيوانات والطيور،وبعض الاشكال الخورافية كالعمالقة على سبيل المثال، لكن في نهاية الامر تفسر على اساس السلطة الرجولية. وسبب ذلك يعود الى النظام الفكري عند إنسان ذاك العصر. النظام القائم على اساس الكم من حيث مشاركة كِلا الجنسيـ في عملية إنتاج الحاجات الحياتية، وامتلاك قوة بدَنية اعلى داخل المجتمع.

في اساطير بعض الشعوب، حظيت المرأة على دور محدد في المجتمع، لكن دور ثانوي وفي اغلب الاحيان سيء. نذكر مثال على ذلك «فينوس»الهة الجمال عند الاغريق حيث اتخذت شكل المرأة، لكن من الناحية العملية هي عبارة عن خليلة اله اخرٍ، اذ ارتبط اسمها بمحيط ذكوري. اما في منطقة كوردستان فأن الساحرات والشخصيات الخرافية (ديّلّه ديّو) تتمثل في جنس المرأة، لكن معظمها تضفي دوراً سلبياً لدور المرأة في المجتمع، وتعمق الرؤيا السائدة حول قوة الشر التي تحملها المرأة. هكذا نجد في نهاية كل اسطورة ومحكية يأتي بطل ذكوري يفتح مجاهيل الطلسم ويضع نهاية للشر المتجسد في صفات المرأة من دهاء ومكر ومكيدة، وفي كثير من الاساطير عندما كانوا يبتهلون لالهات الخير، كانت تقدم النساء والاطفال كقرابين، تعبيراً عن ولائهم للالهة، اي من لا حول لهم ولاقوة من افراد المجتمع. في كثير من الاحيان كانت المدلولات الرمزية الانثوية في الاساطير ترمز الى حسادة وضعف المرأة.هذه المفاهيم دخلت في بنية النظام الاجتماعي وامتزجت معها على اساس كلا البعدين القوة والعمل.

جاء الدين الى الوجود متزامناً مع تقدم اساليب العمل و ارتفاع المستوى المعرفي لدى البشر، ولم تعد الاساطير كافية

لاشباع حاجة الانسان في تفسير و تدوين وجوده. فقامت النصوص الدينية من خلال منظور نقدي، بأعادة سبك وصياغة الفكر الاسطوري، في سياق اكثر تنظيماً وقدسيتاً.

مهد الدين الطريق، في سبيل صياغة رؤية جديدة نحو العالم، حيث ان الدين وضع في نظر الاعتبار كل مراحل تجربة وتقدم البشرية، خلال رؤية نقدية واضحة، قدم لبني آدم سياقاً اكثر تنظيماً للحياة،ان العقيدة والقوانيد الدينية افسح المجال لمشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية والمادية. ومن باب الرحمة والمفهوم الاخلاقي ساعد الدين في التخفيف من وطأة اضطهاد المرأة، من جهةٍ اخرى ولأجل مصلحة المجتمع، سعى الدين التوسيع من دور المرأة في مجالات العمل وادارة شؤونه، حدوث ذلك تزامن مع ارتفاع مستوى المعرفة والعلوم البشرية، في عصرهم واخذه بنظر الاعتبار مقارنةً بالافكار القديمة التي مر عليها الزمن، مما حتم انتقاد ماتراكم في الاذهان من مفاهيم قَبلية. بهذا المعنى، ارى من وجهة نظري ان الانبياء قد كانوا اعظم مصلحوا ومحبي الخير في زمانهم. كانوا يجسدون دور المفكرين المبدعيد والنقاد الواقعييد في عصرهم فهم بلا منازع من كان لهم الدور الاكبر في توجيه البشر، نحو انسنة الادمي او الانسان الاول، هم انبياء امثال بودا، كونفوشيوس،

زردشت، ماني، موسا، عيسا، محمد، اولئك اكثر الناس شفافية و مصداقية وابداعا وفكرا في عصرهم. هم طليعة المشاركيه واعظم المؤسسيه للانسنة في تأريخ البشرية.

وحيه نتبع قضية المرأة، نجد ان الدين اضافة الى الدور الانساني الذي اخذه على عاتقه في هذا المجال، الا انه لم يستطع الابتعاد عن النظام الفكري السائد انذاك، فالرجل حسب المعتقدات الدينية هو صاحب السلطة ويترئس الحياة الاجتماعية والدور الاخير حكر على الرجال في المجتمع. والسلطة الرئيسية في المجتمع هو عبارة عن ذات السلطة القائمة منذ بداية التأريخ البشر: السيادة يمتلكها اصحاب السلطة المادية، اولئك الذين يديرون شؤون الآلهات في المجتمع، اسبغ الدين في مراحله الحديثة، القدسية على تلك السيادة ومتعلقاتها. ولم تشير اي من الاديان الى مساوات المرأة بالرجل، فمن الناحية العملية لم يكن في مقدور الدين طرح فكرة مشابهة والدعوة الى تطبيقها، فقد كان المجتمع في حاجة الى مستوى اعلى من التقدم المعرفي والتقني كي يكون بأستطاعته معالجة تلك الاشكالية التي ترسخت في الاذهان، واستمدت جذورها من قانون الغابة، وعملت المعتقدات في سبيل تقديسها وشرعنتها. وكان التقدم التكنلوجي في العمل

لم يصل بعد الى مراحله المتطورة، بحيث يملاء ثغرة الاختلاف العضلي بين الرجل والمرأة، لهذا لم يعثر مفهوم المساوات على مكان ضمن دائرة التفكير انذاك.

ان الدين من منظور الانسنة تفرض على الانسان الكثير من المفاهيم الحديثة حول الاخوة ومساعدة الاخرين من ضعفاء ومعاقين داخل المجتمع، واحياناً تسبق تلك المفاهيم المستوى المعرفي لعصرهم، لهذا لا نجد دينا ترسخ في عقول الناس الا عن طريق التبشير او الجهاد.

ذكرت قبل حين انه لا يوجد هناك دين يملك الحل النهائي لقضية المرأة. لأن كل مرحلة من مراحل المجتمع، تمتلك نظام عقلي خاص بها ومن هذا المنطلق تتغير معاني المفاهيم من زمن الى اخر، لكن لو طرحنا سؤالا مفاده لماذا لم يتقبل الدين فكرة المساوات بين الرجل والمرأة؟ في ذلك الحين كان يعتقد الناس ان النصوص المقدسة قد فرضت الى حد كبير المساوات بين الجنسين، مع الاخذ بعين الاعتبار كون مفهوم المساوات تتغير مع تطور المجتمع، ايضاً لم يكن البناء اللغوي ومعانيه في ذلك الزمن مشابهاً للغتنا التي نتفاهم بها اليوم، لذا نجد في عصرنا الحاضر التحليل والتفسير اللغوي يأخذ مجالاً واسعاً من اهتمام المختصين.

ضمن هذا السياق، لن نكون واقعيين، اذا ما اردنا معالجة اشكالية قضية المرأة وتحديد حقوقها، وفقاً للتعاليم الدينية. ولست مع التمسك بالنصوص الدينية والتعامل معها ومقارنتها بمستوى التقدم في الوقت الراهن، علي سبيل المثال، نجد في تعاليم احدى مذاهب الدين الهندوسي، ان المرأة كانت تدفن حياً مع جثة زوجها، ومذهب آخر ينتمي الي نفس الدين المذكور، كان العضو الذكوري لاحد قديسيهم يعتبر مقدسا لذا يصنعون على إثره، قلادات على شكل العضو لكي يتقلدونها كفأل خير. ايضاً في الديانة المسيحية حيث استندوا على الاف الحجج الشرعية، لقتل وحرق النساء احياءاً بعد ان اتهمن بممارسة السحر والدجل والتكفير. كذلك لم يكن الطلاق عندهم مجازاً، مما خلق دافعاً قوياً لأرتكاب الجريمة من قبل كلا الطرفيه المرأة والرجل، ونجد في ذات الدين قداسة مريم العذراء تكاد تصل الى مرتبة الالوهية، دون شك ليس كونها امرأة، انما كونها ام عيسى، ونذكر ايضاً مريم المجدلية فهي رغم كونها بائعة هوى، لكن حب عيسى لها، جعلها في صفوف القديسيه، اما في الدين اليهودي هناك نساء امثال بلقيس وزليخا وزوجة النبي لوط ويعتبرن نموذج نسائي سلبي كونهن شبقات جنسياً.

في حين نجد الدين الاسلامي، قد استطاع ان يخطو خطوات واسعة مقارنة مع الاديان الاخرى التي سبقوه، حيث حصلت المرأة لأول مرة عبر التأريخ، على حقوقها الادارية والمالية والاجتماعية انذاك. حرمت استعبادها وقتلها، منحت نسبة محددة من حق الميراث والملكية التي كانت محرومة منها سابقاً، كذلك منحت حق الزواج والطلاق وفق شروط بينة، فسحت امامها مجالاً واسعاً للعمل، ومشاركة الرجل ومساعدته في ادارة الاعمال.

لذا نستطيع القول: لو ان الاديان ضمن سياقه الانساني قد سارت نحو تحرير المرأة من العبودية؛ فأن الأسلام كان من اوائل الاديان التي خطت خطوات عملية نحو تثبيت وتطبيق بعض من حقوق المرأة، من هذا المنطلق اعتقد، عندما نتحدث عن تأريخ حقوق المرأة، من المفترض ان نستهل حديثنا، مع بداية قدوم الاسلام. لكن السؤال هنا: هل حقوق المرأة هي فقط ما حدده الدين لنا؟ دون شك كلا، كما اشرت سابقاً، انه قياسا لذاك الزمان من حيث الظروف والمناخ الفكري السائد ما كان بالمستطاع من الناحية العملية والذهنية التقدم اكثر.

ولا ننسى كذلك، ان الدين الاسلامي، لم يقم بتعديل سلطة

الرجل، انما قام بوضع حدود لها، ليس فقط لاجل مجانبة المساس بنفوذ الرجل، بل كون الفكرة في ذلك الحي ما كانت حاضرة اساساً.على هذا الاساس وسع الاسلام دائرة تقديس الرجل اكثر، وفرضت على المرأة سلطة ونفوذ الرجل مرةً اخرى.
وإذا كنا نجد في تأريخ الانسان مكانة خاصة، لنساء امثال:خديجة، امنة، فاطمة، و عائشة، فالفضل في ذلك يعود الى تقدير النبي لهن، ايضاً نرى ان المرأة التي تحمل صفات الرجولة، هي من كانت يحق لها السفر والترحال والاختلاط بمحيط خارج منزلها.
هنا اجد ما يحثني على القول: ان ابعاد ومفاهيم بداية الاسلام ازاء حقوق المرأة، من كافة ابعادها المعرفية لا تتوافق مع مساحة الحياة الاجتماعية اليوم، وفرضها عليها هو اجحاف بحق المرأة.
هناك بعدين لقضية المرأة يشكل معضلة عصية في العقيدة الاسلامية، الاول:ان اساس البناء الفكري للاسلام هو مختلف من حيث المكان والزمان لذا يصعب تطبيقه على ارض الواقع.
الثاني: تتميز الاحكام الدينية بالقدسية والمطلق، لذا لايمكن اجراء اي تعديل او تغيير فيها. من هنا، ارى انه لعمل غير مجدي انتظار انجاز اكبر مما حققه الدين الى هذا الحي

(ثانيا)

المرأة في ظل ثقافة الحكم الاسلامي

المسلمون يشكلون اغلبية سكان ديماري، لذا نجد الأجواء الثقافية ونظم قوانين حقوق المرأة، مستمدة من الدين الاسلامي؛ وتطبق على غير المسلمين ايضاً بنفس الشكل. السؤال المطروح: ان الاحكام والاعراف والتقاليد التي تمارس في هذه الحالة، هل هي ذات المفاهيم التي نشأت مع بدايات الاسلام؟

في الحقيقة، بعد مرحلة خلافة الراشدين، انبثق الجدل والشك في كل جوانب الاسس الدينية الاسلامية. احدى تلك الجوانب التي اثارت اللغط والاجتهاد، دارت حول حقوق المرأة. حيث دخلت المذاهب الاسلامية الخمس الرئيسية معترك تفسير واستبيان تلك الحقوق، وفق اتجاهاتها المختلفة، في ظلل تلك المذاهب، اجهر عن فتاوي جزئية واعراف جديدة، كي تزيد او تخفف من قيود المرأة. انتجت هذه الحركات بدورها العديد من الاعراف والتقاليد التي غذت بها مذاهب كل تيار على حدا.

على مدار ازمان الامبراطوريات الاموية، العباسية، العثمانية، و

الصفوية، كانت قيود و اضطهاد المرأة تزداد حدةً. فقد كان الخلفاء والسلاطين الامراء، يمتلكون اضافة الى زوجاتهم، الحريم اللواتي يحصلون عليهن نتيجة الغزوات والفتوحات الاسلامية، وكانوا يقومون بأنتقاء الجميلات منهن، ويبعثون تلك الاسيرات اللاحول لهم ولا قوة كهدايا الى السلطان، حيث كن يتخذن كجواري للخليفة او السلطان الذى كان ينتظر قدومهن حسب طلبه فيتناوبن في مضاجعته داخل الحرم. مع ان العلوم والهندسة المعمارية، التجارة، الموسيقا والادب، في تقدم ملحوظ، الا ان حقوق المرأة في العالم الاسلامي لم يشملها التقدم بعطاياه وفوق ذلك تصاعدت حدة تعقيدها؛ كان ليالي الانس والرقص والموسيقا حصر على الخلفاء والسلاطين الولاة، ويقضونها مع اكثر الراقصات ابداعاً، لكن هذا الانطلاق والحرية ماكان له اي انعكاس على حرية المرأة في الواقع المعاش.

على صعيد آخر، انفرجت ابواب تصدير الاعراف والتقاليد البدوية على كافة ارجاء العالم الاسلامي، بحكم سيادة العرب على العالم الاسلامي، من اهم تلك العادات التي توسعت دائرة تعاطيها العنف ضد المرأة، بدءاً من الاختطاف وعدم الطلاق والزواج بالاكراه الى القتل والهتك، وغير ذلك من

الكثير من التقاليد البالية التى لا يربطها اية صلة مباشرة بالتعاليم الدينية.

ظاهرة نفوذ زوجات بعض الحكام الاسلاميين، كانت دوماً حاضرة في الواقع الحياتي. على سبيل المثال نفوذ زبيدة على هارون الرشيد، او روكسلانا عند السلطان العثماني، او السيدة توركان عند اولاد العم المشائيين، هولاء السيدات يشكلن ظواهر استثنائية لا تمت الى ارض الواقع بأي صلة، وما كانت لتعبر عن السلطة الاجتماعية للمرأة، بل في واقع الحال كان مكانة وحب هؤلاء النسوة، من قبل ازواجهم هو الذي افسح المجال امامهن كي يحتلوا مكانة مميزة، وفي الان نفسه يكون لهن نفوذ واسع.

من مظاهر التقدم الاخرى التي اجتاحت العالم الاسلامي، تمحور في مجال الادب والفلسفة.ازدهر الفكر الفلسفي سريعا في الاوساط العلمية فجاء على إثره ابن الرشد والغزالي وابو علي بن سينا والفارابي واخرون غيرهم، حيث كان لهم تأثير قوي على كل العالم الاسلامي، لكن في مجال المرأة، لم يأتوا بأبداعات او اجتهادات جديدة تنعكس على حياة المجتمع انذاك.

كذلك نتلمس مظاهر التقدم في مجال الادب الذي ازدهر

واتخذ بلا منازع مكانة حيوية في حياة المجتمع الاسلامي. اخترق الشعر حدود المحرمات السائدة، وغدا الشعراء يتغنون بجمال المرأة كلما الفوا قصيدة ما، سواء كان ذلك مناسباً او لا. ثم جاءت بعد ذلك ظاهرة فكرية - دينية اخرى التي جسدتها الحركات الصوفية، وانتشرت سريعاً وامتزجت في الان نفسه مع الادب، اعتمد المتصوفون على الحب واستخدموه كوسيلة لمعرفة الخالق، وفي سبيل ذلك لم يعترضوا على اي شكل من اشكال الحب، واولوا اهتماماً خاصاً بحب المرأة. على سبيل المثال نجد كيف ان فريد الدين النيشابوري هوى زوجته دفعه الدخول الى عالم التصوف، كذلك نجد ان شمس التبريزي كان عاشقاً ايضا، كما ان العشق عند رابعة العدوية كان وسيلة للوصول الى محبة الخالق، اما عند الحلاج وابن العربى فكان للعشق عندهم بعداً خاصاً. كثيراً ما كان الاديب او الصوفي المتمرد، يتعرضون الى فتاوي الشيوخ وينكشف حقيقة التضاد الفكري واختلاف الرؤا بوضوح وجلاء بيد الفريقين، مع ذلك، كل تلك الوقائع لم تشكل خطوات جديدة في سبيل تحرير المرأة. كما انها لم تعكس او تضفي شيئاً على حياة المرأة.

التصوف الايراني، الذي كان له اثره على جميع المتصوفين في

العالم الاسلامي، حيث ارتبطت الصوفية مع الادب بشدة؛ فنجد ان الشعر والنثر والكتابات الفكرية والاجتماعية في مجال حرية الانسان وعلاقته بالدين، وبشكل خاص علاقته مع خالقه، كان له اثر بالغ على الواقع. حيث اعتبروا بشكل عام، ان العشق وسيلة لمعرفة الله، لذ نجد مولانا جلال الدين الرومي عندما اطلق العنان لفكره وحرره من القيود يقول: من لا يحمل عشقاً في قلبه، لن يرتقي درجات منال الله. وعارف مثل ابو يزيد البسطامي،الذي كان يعتقد؛ انه لا يجوز له السفر الى الكعبة، بل هي من عليها ان تأتي لزيارته، لأنه يعشق الله الذي يسكن قلبه وانه في وصال عشق ابدي مع ربه.

كان العارفيه يلجؤون الى شتي انواع فنون الشعر والنثر، حيث بلغ ارفع مستوياته، عساهم يتمكنوا من فتح قناة يعتق الحرية الانسانية المقموعة. رغم ذلك؛ ظلت المرأة محوراً لاحاديث اللذائذ والمسرات عند الرجل، وليس بأعتبارها ذات انساني حرّ، تماما كالتغني بالخمر والشراب والماخور والزوايا الصوفية، لم يشكل حافزا قوياً لانفتاح المجتمع على مشروب استشهد له علماء وعرفاء على انها تبعث في نفس الانسانية تسامي روحي لا بديل له؛ فقد كانت هي ذات النزعة النخبوية

البعيدة كل البعد عن حقيقة الحياة، والتي دفعت بدورها عارف كبير مثل شمس التبريزي، على قتل حبيبته وزوجته قرة عينه، رفساً وضرباً بالعصا حتى الموت؛ فقد تجرئت وسرحت في البستان.

وعلى ذكر مثال اضيف: لماذا الفكر في العالم الاسلامي، رغم تجاوزه لكل تلك العتبات البارزة؛ الا انه لم يستطع التأثير على الواقع الاجتماعي كي يتمكن من صقل القناعات والقوانين في ذهن البشر؟ وفي النهاية اوقع شعوب المنطقة في دوامة ساحقة؛ حتى الان لا نتمكن الخروج منها.

(ثالثا)

القوانين، العادات والتقاليد
ضد المرأة

ان التعاليم المتوارثة من الامراطوريات الاسلامية والمعمول بها، التي استمدت مصادرها من الشريعة؛ الا انها امتزجت مع اجتهادات مفتيوا وفقهاء وعلماء الشريعة الاسلامية، لذا نجد، الاحكام التشريعية امتزجت تدريجياً، مع اعراف وتقاليد العنف القبلي، النابعة عن ثقافة البدو العربية. وكانت الثقافة البدوية تستمد قواها من اعتبار واحد، متمثل في كون العرب هم سادة الاقوام عند الاسلام؛ في الوقت ذاته يعتبر المسلمون المنتمون للقوميات الاخرى موالي للعرب، فمن المعروف ان البلدان التي كانت تحت سيطرة النفوذ الاسلامي، كانوا يمتلكون عادات وتقاليد خاصة بهم.

لا اقصد من كلامي، انهم كانوا اكثر تقدماً من العرب؛ لكن يقينا واستناداً الى الواقع الجغرافي والفضاء الثقافي الخاص

بهم، فيما يتعلق بواقع المرأة، نجد تباعا تقارباً وتضاداً ثقافياً مع الثقافة العربية. حيث نجد ان العنف القبلي حول مسألة الشرف لدى العرب إزاء النساء؛ لا يتماثل مع ذات المفهوم في ايران القديمة، او في الشام او في بلاد مابين النهرين. بالتأكيد، ان عادات وتقاليد منطقة كوردستان، قبل مجيء الاسلام، كانت مماثلة الى حد ما مع ايران، ممتزجا مع الثقافة المسيحية وبقايا حضارة الكلد والاشور اضافة الى الى تأثيرات الثقافة اليونانة على المنطقة. لو استعرضنا سلوك بعض العشائر الكوردستانية بعيداً عن العرب، واعتبرناه نموذج مماثل للحضارة القديمة، لتبين لنا، ان قتل المرأة ومفهوم الشرف؛ لا يشبه ما هو موجود عند البدو. اذا آخذنا عادات وتقاليد عشيرة (منكور) الكوردية كمثال على ذلك، سيتبين كيف ان هذه العشيرة لا تمارس قتل المرأة، حتى عندما تترك المرأة زوجها وعائلتها وتتزوج من رجل آخر، لا يحكم ذلك المجتمع على المرأة بالقتل؛ تحت زريعة الدفاع عن الشرف.

والشيء المؤكد ان العادات والتقاليد الى جانب العامل الديني تنشأ وفق اسس المصالح الاجتماعية الرجولية، لذا نجد الى حد ما، ان مشاركة المرأة في العمل في المجتمعات المذكورة، واقعة تحت تأثر فتاوى كبار المذاهب ورؤساء العشائر، وفي احيان

اخرى تقع تحت تأثير الخورافات، وتتأسس قواعدها وفقاً لذلك، فالديني الاسلامي على رغم ابقاءه على ـ قوامة ومالكية الرجل ـ في مجال العلاقات الجنسية بين المرأة والرجل؛ الا انه وضع عدة شروط لمعالجة اشكاليات هذه المسألة، هذا في حال ما اذا طبق كما هو على ارض الواقع، حينها فقط يتراجع نسبة جرائم قتل المرأة تحت طائلة الدفاع عن الشرف.

على سبيل المثال، في اتهام المرأة في شرفها، حسب الشريعة، لا يمكن الحكم عليها على اساس الاتهام فقط؛ بل لابد من تواجد اكثر من شاهد اثناء الممارسة الجنسية، وان يشاهدوا العملية بأم عينهم. وفي هذا الحال، لا تحاكم فقط المرأة؛ فالرجل يعتبر شريكاً في الجريمة، وعليه كلاهما يعاقب، او في حال عدم قبول الزوجة لزوجها، سوف لن تنتهي المسألة بقتل المرأة، حيث يمكن اقناع الرجل على القيام بتطليق الزوجة، فهناك معالجات في الشريعة الاسلامية تنظر وتعالج هذه الاشكالات. كذلك في مقال الجنس كحاجة انسانية؛ الاسلام لا يعتبر الجنس ممنوع او محرم، ضمن معطياته الطبيعية؛ لكن ما يشكل عائقا في سبيل ممارسة هذه الحقوق، هو عادات وتقاليد العنف البدوي الحاضر في نسيج البناء الاجتماعي.

كما المحت سابقاً، الطلاق في المجتمع، هو ليس ظاهرة جديدة. لذا نجد، المجتمعات الاكثر تسامحاً، في الكثير من المجالات، تعاملوا مع هذه الظاهرة بيسر ودراية. من البيء العادات والتقاليد تختلف مع اختلاف المجتمعات، ولا تتماثل نظرتها حول المرأة. لذا فأن مفهوم الناموس او الشرف{اي ملكية الرجل للمرأة} من مكان الى مكان، من لغة الى لغة، تختلف مدلولاتها وابعادها الاجتماعية.

في اكثر الاحيان السلوكيات التي تؤدي الى هدر الدماء في مكان ما، نجدها في مكان آخر امراً عادياً. على سبيل المثال يقتل العرب نسائهم بأسم الشرف، في حيء معظم القبائل الافريقية، كانوا يقدمون زوجاتهم الى ضيوفهم وممارسة الجنس معها، تكريما لتقاليد الضيافة، كذلك عند اغلب العشائر الكوردستانية، نجد ان المرأة التي ترفض الاستمرار في زواجها، يحق لها الطلاق.

قتل المرأة بسبب علاقة حب او ممارسة جنسية، عند العرب يدعى «غسل العار». يفسر هذه الظاهرة على انها عملية لغسل لطخة العار التي سببتها العلاقة العاطفية او الجنسية،من خلال هدر دم المرأة، الا ان هذا الفعل تحول الى تقليد تمارسه اغلبية الشعوب الاسلامية، ثم تداخلت مع نسيج

قوانين اكثرية الدول الاسلامية.

اما الطلاق، فقد كان له نفس المصير؛ يعتبر انفصال المرأة عن الرجل عند العرب، مصدر عار للرجل؛ لهذا اذا ما لم يقتل زوجته، فأن المفروض عليها عدم الزواج مرةً اخرى، وتقضي بقية حياتها كأرملة، اي تحرم من الزواج ثانيةً، كذلك يمارس ضد المرأة انواع اخرى من العنف، مثل الزواج اكراهاً، كصة بكصة، الزواج في المهد، وكانت هذه الممارسات مصدرها اعراف البدو او الاعراب، ثم اجتاحت العالم الاسلامي جميعا، وتحولت الى عرف ديني وهو في جوهره قبلي. انتشار هذه الممارسات ضد المرأة خلق العديد من الاشكاليات الاجتماعية الغير ظاهرة للعيان، وتظهر بيه الفنية والاخرى، على سطح الواقع، وتؤدي الى سيل الدماء؛ خاصةً دماء النساء.

العزوف عن الطلاق، او القيام به وسلب الاطفال من امهاتهم، عبارة عن افعال استمدت جذوة سطوتها من اعراف العنف التي مررنا عليها–ومازالت تمارس الى يومنا هذا– لذا كثيراً ما نرى المرأة تبقى اسيرة حياة لا تبعث في نفسها السعادة ولا يشعرها بأنسانيتها. يتجلى العنف ضد المرأة فى الكثير من اشكال الحياة الاجتماعية؛ فكم من الامهات قتلن على يد ابنائهن،دون ان يرتكبن اي خطيئة سوى انهن اردن الاستمرار

في الحياة، وممارسة حقهن في الزواج للمرة الثانية. وهناك ايضاً عادة اذلال المرأة التي تمارس كعامل ضغط وعبرة للاخرين، وهذا مايجعل المرأة في منطقتنا دوماً عصابية.

اذا ما اجريت الدراسات حول القوانين الدينية، سوف يتبين لنا، ان معظم هذه العادات لا يمت للشريعة بأية صلة، غير ان الاوساط الدينية وواصحاب الفتاوي، يقفون صامتين امام هذه الحقائق، وهذا ما يعيق سبيل الاصلاح الديني امام عادات العنف السائدة في المنطقة.

هنا يشكل الخط الفاصل حول تأريخ العنف المجتمعي ضد المرأة؛ كي اكون نزيها فأن الشريعة لم تسطع القضاء على الظلم بشكل نهائي، لكن الحق يقال، عندما نرى بوضوح هناك خطوات كبيرة قد انجزت مقارنة مع ما مضى، فلابد المرور بها.

هذه العادات والتقاليد تمارس ضد المرأة منذ انطلاقة التأريخ، وتحيط بها، مثل الاشباح، من كل صوب ومكان وتهدد حياتها. من هنا اصبح الخوف والتكيف جزءاً من سايكولوجية المرأة؛ الخوف من القتل، الخوف من فقدان المصدر الاقتصادي، الخوف من سلب اطفالها، الخوف على عرضها وكرامتها الاجتماعية؛ كيف بأستطاعة انسان، حياتها مهددة بأستمرار،

أن تكون انساناً طبيعياً؟

رابعا
الرأسمال وقضية المرأة

غايتي من هذا الكتاب؛ ليست استقصاء التأريخ مرحلة، مرحلة. اردت فقط، الخوض في الكتابة عبر مدخل تأريخي عام، لكي اتحدث عن واقع مؤلم يمارس فيه الظلم ضد المرأة منذ انبثاق التأريخ البشري. ما سردته من وقائع على الصفحات السابقة كانت تشمل المراحل الاقطاعية ايضاً،لذا سوف ابداء الآن الحديث حول مرحلة اخرى، مختلفة كل الاختلاف عن سابقتها، المتمثل بمرحلة الرأسمالية.

وصل الانسان في هذه المرحلة الى مستوى عال من التطور التكنولوجي والفلسفي والايديولوجي والمعرفة العلمية. التفكير حول قيمة الانسان خلال مرحلة الرأسمالية، أخذ في الاتساع بشكل ملحوظ، بحيث لايمكن بأي شكل من الاشكال مقارنته بالمراحل السابقة، هيمنت الرأسمالية على كل ارجاء العالم وفي النهاية نجحت في توحيد السوق العالمية، هكذا تبلورت اسباب

ترابط الحضارة والمعلوماتية فيما بينهما ـ اتخذت الديمقراطية عدة اشكال في هذه المرحلة، بالنتيجة غدت نظاما عالمياً في ظل العولمة، ثورة الديمقراطية انبثقت في اواسط هذه المرحلة، اميركا وفرنسا النموذجان الامثل لهذا المنظور، لكن لماذا لم تفلح في معاجة قصية المرأة بشكل نهائي؟ اذا ما قلنا في الماضي كانت البشرية تزرح تحت وطأة الخرافة والجهل، كيف فشلت الثورة المعلوماتية والليبرالية في هذا العصر، من قلع جذور هذه الاشكالية الى الابد؟

واضح جداً، ان العمل والانتاج المادي، تقوم وفقاً لفائض القيمة، متمثلاً بالقانون الرئيسي للنظام الاقتصادي والاجتماعي في الرأسمالية ـ حيث من يعمل اكثر يحصل على آجر اكبر، بالعكس من ذلك سيكون ايراده ودخله اقل ـ مع بدايات بروز وتوسع النظام الرأسمالي، كان الهدف الرئيسي من ورائها اشباع جشع اصحاب رؤوس المال وتكديس الاموال، فما كان للقوانين مكانة تذكر في مجالات العمل، لذا عان الناس، من الاضطهاد، الظلم، التفرقة، وشحة الامتيازات ـ ويمارس ضد المرأة بشكل علني التمييز الجندري، حيث اجورهن اقل بكثير من اجور الذكور، وفي حالات المرض والاعياء او الحمل لم تكن تحصل على ادنى اية امتيازات ـ اتسمت الثقافة

البرجوازية الحديثة، بالعقلية المؤمنة بدونية المرأة، حيث استمد هذا المنظور من ارث ثقافي سبقه زمنياً. التمييز العنصري كانت تمارس علناً لذا كانت اجور السود و هنود الحمر ادنى بكثير، فقاوانيـ العمل انذاك كانت تفتقد العدالة والمساوات، لذا نجد فئة النساء، شكلت السواد الاعظم من الثائرين ضد النظام الرأسمالي ضمن الحركة العمالية؛ من الواضح، ان ثورة العمال وحركتها قد اجتاحت عموم اوروبا واميركا.

لابد الاشارة الى ان، الرأسمالية كانت من اوائل الانظمة التي وسعت مجال العمل خارج المنزل بشكل جماعي وكبير امام المرأة. حيث كان للواقع الاقتصادي وحاجة الرأس المال الى قوة عمل المرأة، تأثير كبير في التغلب على العادات والتقاليد وسلطة المعتقدات الدينية، القائمة ضد عمل المرأة. ومن ثم ادى اتساع دائرة الحركة العمالية والتضخم المالي وتقهقر النفوذ البرجوازي، الى جانب انتشار مفاهيم المساوات والنظام الديمقراطي، كل ذلك ادى الى؛ ارتفاع اجور العمالة من فائض القيمة لدى الرأسماليون، مع ذلك استمر الفارق في اجر عمل المرأة مقارنة مع الرجل. لذا ولدت من داخل الحركة العمالية الحركة النسوية، للدفاع عن حقوق المرأة، والمطالبة بالمساوات في اجور العمل.

من هنا تبلورت لأول مرة فكرة الحركة النسوية، لنيل حقوقهن، تلك الحقوق التي يجب ان تتساوى مع ما للرجل.

بطبيعة الحال، تراجعت نسبة الامية مع الرأسمالية، وترسخت دعائم الثقافة المدنية البرجوازية، المتمثل بالدرجة الاولى بالفكر الديمقراطي. اضافة الى الرجال، اصبح بمقدور النساء القرأة والكتابة بنسبة عالية، وتمضخت فئة المثقفات، اللواتي اصبحن رائدات الحركات النسائية. مع نمو الوعي لدى المرأة، حققت مكاسب مهمة، وتقدمت خطاها، ماعدا المساوات في الاجر، اصبحت تطالب بحقوقها في الرعاية الصحية والولادة اضافة الى رعاية الاطفال، وهذا مؤشر الى ان مطالبهن تميزت بأبعادها الانسانية، اكثر من العملية. مع نشؤ العديد من بنات افكار المساواتية، تعمقت روح العدالة في ذهنية الحركات النسوية، تلك الافكار التي ترسخت في ذهنية الحركات العمالية، وتبنتها صفوف الحركات النسائية، مثل الفوضوية والاشتراكية والماركسية.

شكلت الحركات النسائية عامل ضغط متميز على البرجوازية، حتى المرحلة الثانية للنظام الرأسمالي، على الرغم من تحقيق خطوات كبيرة في سبيل تحسيد وضع المرأة في اماكن العمل– في المصانع والدوائر–استمر التمييز ضد المرأة.لأن المرأة، في

هذه المرحلة ايضاً، واجهت مرة ثانية اشكالية القدرة الجسدية وخصوصية الصحة، التي واجهتها في بداية التأريخ. حيث ان المنظرين البرجواز قاموا، بمعالجة المسألة، ليس ايماناً منهم بقضية المرأة؛ بل من باب زيادة الانتاج، وهناك حقيقة قائمة، على ان تقدم المجتمع الانساني مشروط على زيادة وتقدم الانتاج. وعندما تحقق المجتمعات الغنية رفاهية العيش، يفسح المجال امام المساواتية. فأذا المرأة لم تسطع منافسة الرجل في ميدان العمل، فسوف تستمر عملية التمييز الجندري بحقها، بذلك اللامساوات تبقى على ما هي عليه.

الافكار المضادة للرأسمالية، التي نظمته وتبنته الفكر الماركسي، تؤمن بأن النظام الرأسمالية قد انبنت اساسا وفق اسس الاضطهاد، لذا فهي تفتقر دعائم القدرة على تحقيق المساوات بين المرأة والرجل. وفقاً لهذه الايديولوجية، كان من المفترض ان تغدو الحركات النسوية جزءاً من الحركات العمالية، بهدف اسقاط الرأسمالية. ضمن سياق هذه الفكرة، فأن الاشتراكية تحقق المساوات الانسانية بين المرأة والرجل،

استطاعت الحركة الاشتراكية، اجتذاب ثقة النساء نحوها وتشكل من الحركات النسوية ملحقا للحركات العمالية والاحزاب اليسارية. الاوضاع الرأسمالية الحديثة والانفتاح الثقافي الذي

تبعها، بعكس كل مراحل التأريخ السابقة، اوهبت النساء القدرة على تنظيم صفوفها والمطالبة بحقوقها جماهيرياً.

(خامسا)
الشيوعية
و
الحركة النسوية

عندما جائت فلسفة العدالة الاجتماعية، ودخلت في نسيج الحركة العمالية كما الحال مع الشيوعية، تحولت المطالب النقابية الى جزء من المانفيست الشيوعي. الى جانب ذلك اصبحت الحركات النسوية، التي انبت اساساً، وفق مفاهيم العدالة الاجتماعية، الى جزء من نشاطات الشيوعيين. تمضخت عنها قوة حركية فعالة مضادة للرأسمالية، من الصعب على النظام الرأسمالي مواجهتها. تجربة انتفاضة كومونة باريس، حركة الجارتيون في بريطانيا، المظاهرات العمالية والنسوية المتلاحقة في شيكاغو–حيث في كليتها شكلت القوة النسائية والعمالية سلاحاً بيد الشيوعيين–كل هذا، دفعت الدول الرأسمالية لمواجهة موجة الحركات المضادة للرأسمالية بقوة. كبح جماح كومونة

باريس، اما المظاهرات النسوية في شيكاغو، كانت تطالب بعض من حقوقها الجندرية والنقابية الخاصة بها،لكن ايضاً قاموا بقمعها بشكل عنيف ودموي، بحجة كبح جماح معركة الشيوعيين. منذ ذلك الوقت الى يومنا هذا، يعتبر اليوم الثامن (٨) من مارس، اليوم العالمي لاتحاد المرأة.

حقاً كانت للنقابات في كلا الانتفاضتين دورا قيادياً، الى درجة تحولت كافة المناطق المضطهدة التابعة للمجتمع الرأسمالي الى ميدان عمل الحركة الشوعية. اضافةً الى العمال والنساء، انضمت الى هذه الحركة الفلاحين والشعوب المضطهدة والسود المناهضين للعنصرية واندرجت بدورها ضمن برنامج الحزب الشوعي. اثارت هذه الوقائع مخاوف النظام الرأسمالي الى ابعد الحدود، لذا جمعت كل قواها في سياق عالمي كي تواجه الهجمات الشيوعية المضادة. فكانت في كل حركة اصلاحية تدعو الى المساوات او العدالة الاجتماعية تترآى لها شبح الشوعية، فتعمل جاهدة لاسقاطها.

لا بد من الاشارة الى حقيقة مفداها ان جميع فئات المجتمع، تحولت الى وقود مشتعلة في سبيل النضال الشوعي. وشكلت النساء جزءاً من النشاط النقابي والاحزاب الشوعية. بعد الحرب العالمية الاولى، خلال ثورة اكتوبر الروسية؛ هذه الحقيقية

اتضحت بعد ذلك، ايُّ دور كانت للنساء في تلك المرحلة النضالية. ثم شكلت البلاشفة نظام شوعي من داخل روسيا و الشعوب المجاورة لها، على إثر ذلك اشعلت الرأسمالية نيران حرب دولية ضد الحزب الشوعي الروسي.

الاحزاب الشوعية على الصعيد العالمي ناصرت رفاقها في الاتحاد السوفيتي، ونظموا المسيرات في كل انحاء العالم، رافعي شعار(لا لمحاربة الاتحاد السوفيتي). غدات ذلك تحولت المطالب النسائية بشكل علني، الى حرب تدار ضد الرأسمالية، متباعدة عن نطاق جوهر سيرورتها التأريخية.

بعد مجيء النظام الشوعي الى سدة الحكم، في بعض اجزاء اوربا و اسيا وامريكا اللاتينية وافريقيا، حينها واجهوا تجربتهم الخاصة في معالجة قضية المرأة على ارض الواقع، ضمن خارطة الدول الشوعية، اعتبرت الاتحاد السوفيتي اكثرهم تكاملا ونفوذاً، اتبعت هذه البلاد بعض الخطوات البدائية لمعالجة قضية القوميات، فأعلنت على اساسها الاتحاد السوفيتي كدولة كونفيدرالية، لكن بعد مرور خمسة وسبعون عاماً تبيـ ان حرية الشعوب تلك كانت مجرد بدعة! فهي لم تعمل شيء سوى روسنة [نسبة الى روسيا] القوميات الاخرى الخاضعة لها ضمن سياقها الجيوبولوتيكي، تلك الامم لم تحصل على اية

استقلالية تذكر، فقط عايشت بعض الانتعاش في بداية الامر، استغلت الاتحاد السوفيتي الدول الرفيقة من اجل غاياتها الايديولوجية والعسكرية والاقتصادية في سياق المنافسة السياسية.

في مجال المرأة، سنت القوانين على اساس المساوات في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة، لكن هذا المنطلق والمستوى المتدني للتكنلوجيا في السوفييت، افسح المجال اكثر امام الرجل، واطاح تدريجياً بدور المرأة في مجال العمل. لا شك ان العمل لآجل افساح المجال امام المرأة، وتساويها بالرجل من حيث الاجر، كان واضحا في ظل النظام الشوعي، لكن الاهداف الايديولوجية والواقع –التكنواقتصادي– سارتا بأتجاهين مختلفين.فمع كل محاولة لتطبيق الايديولوجيا في مجال ما، سواء كان شكلياً او عملياً، كانت تزداد الهوة اتساعاً امام الاقتصاد والمعرفة.

لا ابغي البحث حول تفاصيل الازمات الاقتصادية المستمرة في الدول الشوعية، لكني اريد توضيح جانب خفي عن دور النظام الشوعي حول اقصاء مجال المنافسة والابداع فيما يتعلق بحقوق المرأة الاقتصادية والاجتماعية، فغدت جزءاً من العامل الذي يسبب بأستمرار حصر الانتاج في زاوية ضيقة، بالنتيجة،

عندما انهارت، النظام الشوعي تحت وطأة ازماتها المستمرة، اتضح ان النساء، في ظل هذه الانظمة، لم تحصل على موقع اجتماعي–سياسي–تقني–اقتصادي متميز.

بالطبع لايمكن نكران حقيقة الانجازات في مجال حقوق المرأة، التي كانت حصيلة الفكر الماركسي الذي انبنى عليه النظام الشوعي. فمن خلال قرار سياسي، قام هذا النظام على تخليص المرأة من كل الممنوعات النابعة من الافكار الدينية و العادات والتقاليد ضمن سياقها الاجتماعي، ومنحت المرأة كامل حريتها، حيث تساوت مع الرجل امام القانون، واصبح من حقها الانفصال عن الزوج تماماً مثل الرجل، الامر عينه في مجال التعليم والامتيازات الثقافية، اي كل ما يسمى بالحقوق المدنية للمرأة، قد تحققت لأول مرة قي ظل الشوعية. وهذا ما ميز النظام الشوعي عن الرأسمالي؛ على إثر ذلك قامت الدول الرأسمالية تدريجياً، العمل لأجل تطبيق تلك الحقوق على ارض الواقع، متسارعيه في الآن ذاته في البدء بالاصلاحات الاجتماعية في المجتمع، فقد شكلت تلك التطورات احدى الضغوط التي استسلمت الرأسمالية تحت وطأة ثقلها وقدمت في سبيل ذلك تنازلات ملموسة على الصعيد الاجتماعي.

ان الحقوق التي منحت المرأة في ظل الشوعية، انقذها من الدونية الاجتماعية وهيمنة النظام الابوي، كما تميزت بطابعها الثوري، مع ذلك فأن المساوات الحقيقية بي الرجل والمرأة لم تتبلور بعد. لماذا؟ هل يوجد فارق بي رفع الظلم وتحقيق المساوات؟ هل ما قامت بها الشوعية، هي رضوخ ايديولوجي و اجتماعي في الان ذاته؟

في مجال الاقتصاد–كما اشرت سابقاً– بقيى الحال على ما عليه، حيث الرجل بقي صاحب النفوذ الاقوى، لأن تدني مستويات التكنولوجيا، ابقت المجال مفتوحا لاصحاب القوة البدنية الاكبر. من جانب آخر، وعلى الصعيدين السياسي والاداري، لم تستولي المرأة على مكانة سيادية، تؤهلها على القيام بأنجازات في مجال حقوقها الانسانية؛ فقد انحصرت ادوار النساء في مجالات الاعمال الخدمية الادنى، مثل الصحة والتربية والفن، ولم تسطع الوصول الى مواقع مهمة في مجالات السياسة والادارة المالية والقيادة العسكرية. على مدى الخمس والسبعون من عمر حكم الشيوعية، لم تظهر للعيان، قائد سياسي، او عالم اقتصاد او تكنولوجي، او جنرال عسكري كبير من النساء، في النهاية كل انواع السلطة والنفوذ، بقيت حصراً على الرجال، ولم نتلمس اي مشاركة

نسوية فعالة. مايعني ان النظام الابوي بقيَ على الحال نفسه، واستمر فعاليته في النسيج الاجتماعي، متزامناً مع تنازلات كبيرة على صعيد الحقوق المدنية، والامر الجلي للعيان ان قضية المرأة ليست وقفاً فقط على الحقوق المدنية، فهي اوسع من ذلك بكثير، دون شك لا اقصد من وراء هذه الكلام التقليل من شأن الحقوق المدنية للمرأة، واعتبارها دون فائدة او ضرورة يرجى منها، ما اقصده، هو لايمكن تحقيق المساوات بين الجنسين من خلال الحقوق المدنية فقط، كما ان، التحرر من الظلم لا يتزامن دوماً مع المساوات؛ من هنا يأتي اهمية دور الايديولوجيا في سبيل انهاء الظلم، والمفارقة انه يقف عاجزاً امام تغيير الواقع الغارق في اللامسوات.

من هنا، اقف ضد الرأي القائل؛ بأن كون المرأة اقل او اضعف قدرةً هي مسألة خاصة بذات المرأة، وعليه فأن حقوقها محدودة. اما السؤال الذي يشكل مهماً بالنسبة لي فهي: مالعمل لضمانة الحقوق المدنية، من دون ان يتحول الامتيازات المخصصة للمرأة الى عبأ اقتصادي في المجتمع؟

اكرر قولي، ان الاشتراكية مثيلة الدين، لكن في مرحلة تكنلوجية أسمى، واحدثت تغييرات اكبر على الصعيدين الفكري والعملي. ففي السياق الانساني

(humanism)واطروحتها الاخلاقية واندفاعها نحو العدالة الاجتماعية، استطاعت ان تحقق الكثير في مجال حقوق المرأة. الشيء الذي دفع الانسانية نحو الحلم بمستقبل اكثر اشراقاً. لكن القضية التي انا قيد طرحها المتمثل بقضية المرأة، لم تستطع الاشتراكية معالجتها جذرياً. فقد ظلت السلطة الذكورية على الحال نفسه، لكن في ثوب اكثر حداثة، سائراً في طريقه بتؤدة ومهل، فمن المؤكد ان مسألة المرأة ليست عبارة فقط عن القتل والطلاق وحقوق العمل.السؤال هنا: هل صحيح ان المرأة نصف المجتمع؟ فأذا كانت كذلك؛ اي طريق عليها أن تسلك، كي يكون في مستطاعها ادارة هذا النصف بشكل انساني؟

ان نماذج السلوكيات الذكورية السلبية العامة، التي كانت تمارس قبل مرحلة الاشتراكية بحق المرأة، تمادت بعض منها الى مرحلة مابعد الاشتراكية؛ (ستاليـ) قام بقتل زوجته شخصياً، (ماو تسي تونغ) كان عاشقاً لزوجته (جيانك جينك)، ولا يرد لها آمر، فقام لأجلها بأبادة ملايين الرجال والنسوة، تماما مثل (هارون الرشيد) وزوجته(زبيدة)؛ (جاوشيسكو) طوع سلطة عشق زوجته، الا انه يعتبر؛ اشرس دكتاتور واكثرهم وحشيةً؛ (ميلودوفيتج) اسس حزباً معارضاً وجعل زوجته

تترأسه، ومارس جرائم ألابادة الجماعية بحق معارضيه مثل (صدام حسين) . كل الاسماء التي ذكرتها، هي في الحقيقة شخصيات قيادية معروفة في الحزب الشيوعي.

(سادساً)
مفهوم حركات التحرر الوطني
حول المرأة

اتسعت مجال الحركات الثورية التحررية الوطنية في الدول التي وقعت تحت سيطرة الانظمة الاستعمارية، وكان النضال في سبيل تحرير الوطن واجب كل فرد، وفي الحي نفسه، نجد ان الفكر الثوري ضد الامبريالية بشكل عام، في تحالفها مع الفكر الاشتراكي، كان سائدا في تلك الحقبة. ففي البرنامج الديمقراطي التحرري، نجد تحرير المرأة ومشاركتها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية الى جانب الرجل، قد اخذ حيزاً خاصاً، لكن قي الواقع العملي، كانت الحركة حكراً على الرجال، اما مشاركة المرأة فقد كان بصورة منسقة رمزياً، ولا تتعدى مظاهر التفاخر والتباهي امام عيون الاجانب. فالواقع كان يعكس بعداً آخر، حيث المرأة فيه تواجه عقبات امام كل مشاركة فعالة ومباشرة؛ هذه الحقيقة انعكست على الواقع الشرق اوسطي بشكل جليٍّ.

وهناك امثلة كثيرة، حول كيفية قيام الثوار الكادحي بمنع ذويهم من المشاركة الفعلية في العمل الثوري، الى درجة لجأ بعضهم الى قتلها اذا ما تطلب الامر. وهذه الوقائع ادى الى ان يكون دور او مشاركة المرأة في الثورة هامشي ولا يستحق الذكر. كذلك الحال مع التنظيمات السرية، ظل المجال خانقاً بدرجة كبيرة امام المرأة.

لو اردنا الكشف عن اسباب هذه الظاهرة، علينا بالرجوع نحو التركيبة الاجتماعية الخاصة بالبلدان والثقافات التي ذكرناها آنفاً، حيث كان الرجل فيها عبر التأريخ صاحب السلطة الاعظم. هذا اذا ما اقصينا دور العوامل العقائدية والدينية. بعض من الاحزاب القومية المتعصبة، حاولوا الاستفادة من ثقافة الاحزاب اليسارية المتنفذة من خلال تطبيق جزء صغير من تعاليم الاحزاب اليسارية. لكن النتيجة كانت عكسية، بسبب عدم الايمان اساسا بحقوق المرأة وان ما يقومون به هو مجرد وسيلة لمواكبة متطلبات العصر، حيث قاموا بجلب النساء اللواتي ينتمي لعوائل الثوار والقياديي المتنفذين داخل الحركة التحررية، من دون ان يكون لهن اية خبرة او ممارسة فعلية في هذا المجال، ومنحهن في الوقت ذاته مواقع متميزة ضمن التنظيمات الحركية. وفي نهاية الامر يقدمون على تأسيس

منظمة نسائية على حي غرّة، ليس لها علاقة بحقوق المرأة لا من بعيد ولا من قريب، وترتكز على قاعدة هشة فارغة من كل معنى، بعد ذلك يطلقون عليها احدى المسميات الفضفاضة، لكي يستخدموها في مزايداتهم السياسية، حيث يدفعونها كي تشارك وتتحدث وفقاً لذلك بأسم جميع نساء البلاد، وفي جميع المناسبات الوطنية والعالمية.. مع ان الواقع كان يؤكد لنا ان هذه المنظمات كما اشرت انفاً، لم تكن سوى منظمة مكونة اساساً من مجموعة من اعضاء قياديي الحزب من الرجال الثوار المعروفي.. ولم يكن هناك شيء يسمى بالتراث الثورى النسائي، داخل معظم اجزاء الحركة التحررية.. في حي كانت هناك الكثيرات من النساء اللواتي افتدوا بحياتهن وضحي من اجل وطنهن بالكثير.. انه لمآساة مفجعة لأمة مسحوقة، حي تقف كحجر عثرة امام مشاركة ونضال نصف مجتمعها؛ بسبب بعض التقاليد والعادات البالية السائدة، في حي ان بلادها كاملةً تزرح تحت وطئة الاستعمار.. ان تلك المنظمات التي عملت بأسم المرأة في ذلك الحي، كانت عبارة عن مجرد اجهزة دعائية ولوازم الديكور الخارجي لحزب الرجال الثوريي، اولئك الرجال، الذين كانوا يخجلون من مشاركة نسائهم في الثورة وتقاسم شرف الولاء للوطن معهن..

اذا ما اردنا ان استثناء بعض الدول من هذه الظاهرة، حينها يمكن الاشارة الى الصيد والفيتنام، حيث اسطاعت المرأة المشاركة الفعلية مع الرجال في مواقع متفرقة من الحركة التحررية للثورة ولكن بنسب قليلة، وبعد فترة الثمانينات، الحزب العمالي في شمال كوردستان افسحت مجالاً متواضعاً امام المشاركة السياسية للمرأة. بطبيعة الحال لا اود ان امر مر الكرام على تأريخ الانجازات الفردية لبعض النسوة المناضلات اللواتي ضحوا بكل شيء من اجل الوطن امثال ليلى قاسم و جميلة بوباشا و ليلى زانا؛ هؤلاء النسوة يعتبرن رموز فخر عظيمة لأمتنا، لكن لا يعتبرن مؤشراً حقيقياً لحركة تحرر النساء الثوريين.

وحتى بعد بعد استقلال تلك البلدان، لم تتبلور حركة نسائية حقيقية، كي تعمل في ظل الاستقلال على توطيد اسس حقوق و حريات المرأة. في هذه المرحلة كانت المنظمات التي تدعي بأنها تعمل في سبيل المرأة، كذلك كانت في مشاركاتها الفكرية وتقديم البرامج و مؤتمراتها لاتنسى حتى التفاصيل الدقيقة حول قضيتها، لكن على ارض الواقع ماكان لهن اية وجود حقيقي. لذا سرعان ما يتحولون الى منابر ديماخوجية تفتقد الموضوعية والجوهر عند النساء اللواتي ينتمي الى نفس

البلد. ما اشرت اليه انفاً ينطبق على وضع الحركة التحررية في كوردستان ايضاً، من دون اي فروق تذكر بين الاحزاب الايديولوجية المختلفة، حيث كانت المنظمات النسوية تعاني ماتعانيه اشباهها في البلدان الاخرى، لذا لم نرى لهذه المنظمات الى الحين هذا، حضوراً فعلياً داخل النسيج النسائي بشكل عام.

على سبيل المثال، ما يمارس من قتل مستمر للمرأة بحجة الدفاع عن الشرف والكثير من القضايا الاجتماعية الاخرى وايضاً رأينا جميعاً في فترة اواخر التسعينيات واوائل الالفية الثانية، كيف اقدم المتشددون والمتطرفون الاسلاميين، بتفجير واشعال النار في صالونات التجميل النسائية وايضاً حرق النساء السافرات بواسطة التيزاب، مع كل هذه الاحداث والظواهر السلبية لم نرى ردود فعل ومواجهة ضد ما يمارس من قمع وتنكيل بالمرأة، من قبل المنظمات النسوية، وعضوات البرلمان، او الوزيرات و المديرات وغيرهن ممن يعتلين مناصب عالية، او حتى من قبل الحقوقيات؛ في الوقت الذي كانت منظمات حقوق الانسان العالمية، تقوم بالضغط من الخارج على حكومة كوردستان في ذلك الحين، حينها فقط، تم اقصاء قانون احلال قتل المرأة، ولم تكن المنظمات والشخصيات النسائية في

كوردستان على علم ودراية بهذا الامر اساساً.
في الحقيقة ان الحركة التحررية الوطنية، بعد الاستقلال، لم تفي بوعودها التي ادرجتها سابقاً في برامجها الحزبية حول مسألة المرأة، ويمكن ان نلاحظ كيف ان واقع المرأة في اغلبية الدول المستعبدة والتي تحررت بعد ذلك، متدنية ولا تحسد عليها. فهى اضافة الى طحنها المستمر تحت طائلة العرف والعادات والتقاليد البدائية، فأن عملية تحديث الدولة في مرحلته الانتقالية، جلبت لها الكثير من الآلام والعذابات، لتثقل كاهلها مرتين. هذه الواقعة ينطبق على كوردستان المتحررة ايضاً، فإلى الحيلولة بأستثناء تعديل بعض القوانين، فأن القوانين بشكل عام هي نفس القوانين الجائرة التي وضعت ايام النظام الرجعي والجائر السابق، وهي اساساً ضد المرأة. من هنا يتضح لنا عدم الكفائة و الاساس الكارتوني للمنظمات والشخصيات النسائية داخل الاحزاب والحكومة ايضاً، لا نجد في البلدان التي نشأت كنتيجة لنضال الحركات التحررية الوطنية، اية قوانين تخدم المرأة. وعلى العكس، نجد ان القوانين تشارك في التحبيذ على قتل المرأة تحت طائلة غسل العار او الدفاع عن الشرف.
ان مشاركة المرأة في الحقيقة، هي عبارة عن دور معين لفئة

محدودة من النساء المشاركة في ادارة شؤون الصحة والتربية فقط، اما النساء اللواتي يشغلن مناصب دبلوماسية ومواقع بارزة في الحكومة، فإنهن مجرد رموز يشغلن الكراسي التي خصصت لهن في عملية المحاصصة، فهي لاتمت من قريب او بعيد بواقع المرأة المزدري والغارق حتى الاعماق في الظلم والجور، هذه هي الحقيقة المرّة التي لايمكن لأياً كان الافتخار بها ▪

ان الحزب والبلدان الثورية ▪ لم تحرك ساكنا لأجل معالجة قضية المرأة؛ لذا نجدها دوماً تلتطم يميناً ويساراً في ازمة عميقة امام النقد واللوم الموجه لها، من قبل منظمات حقوق الانسان العالمية ▪

(سابعا)
نظرة على تأريخ
الحركة النسوية

في التأريخ الانساني، لم تكن المرأة هي الوحيدة المضطهدة في المجتمعات الانسانية. العبيد واديان الاقليات كانت تضطهد على يد الاكثرية الحاكمة. ففي الاوقات التي كانت تقع فيها بعض البلدان تحت هيمنة دول اقوى منها، فتعاني الشعوب الواقعة تحت قبضة الاقوى من الاضطهاد والتعسف بشكل علني. من هذا المنطلق، انبثقت انتفاضات ذاع صيتها عبر التأريخ من قبل المستَعبَدين ضد مستعبْديهم. انتفاضة سباراتاكوس ضد الامبراطورية الرومية، العبيد السود في الخلاف الاسلامية ضد اسيادهم، الانتفاضات الايرانية المتفرقة ضد الاستعمار العربي الذي كان يعتبر الايرانيين، مواليِ وفي المرتبة الثانية، انتفاضة البيبكيون الدينية ضد الامبراطورية الاسلامية ومظالمها الدينية.

واذن لماذا لم نعثر في التأريخ على انتفاضة نسوية ضد الجور الذي يمارس ضدهن؟ سؤالي هذا يتمحور بشكل اساسي حول

المراحل التي سبقت ظهور الرأسمالية. وهي اكثر ما تعتبر ميزة او علامة فارقة خاصة بالمرأة، مع ان النساء يشكلون الفئة الاكبر من تعداد المظلوميه عبر التأريخ البشري، هذه الخاصية لها عدة فروع: الاول يعود الى التركيبة المعنوية والسايكولوجية للمرأة، والتي تفيد بأنها لا تستطيع ان تكون متشددة ودموية بما فيه الكفاية لافناء وقهر ظلاّمها. ثانياً: هناك امتزاج دموي وعاطفي واسري للمرأة مع جندر من يضطهدها. هذا الشيء يعيق طريق المرأة، عندما ترى انه عليها ان تحارب ضد ابيها وزوجها واولادها. ومن هنا اضافة الى العاطفة، غدت التضحية جزءاً لا يتجزء من ثقافتها. من هذا المنطلق سيكون امراً طبيعياً، عندما نجد المرأة مفتقدة لثورة خاصة بها ضد المجتمع الذي يضطهدها، كذلك لا يجب التناسي في ان كلا السببيه المذكورين اعلاه، لهما وجود ذاتي– اجتماعي كذلك يشكلان الجزء الاساسي لعاطفة ووشيجة الانسانية لتكوين المرأة، من هنا استطيع القول بأن منشأ التضامن والمحبة البشرية يعود الى ثقافة المرأة.

وجود نساء مشهورات في تأريخ الامم، لا تعبر عن حرية المرأة. هذه الحالات هي ناتجة عن نقل سلطة وكاريزما رجل ذو نفوذ الى الزوجة او الابنة، وهذه الحالات عادةً ما تأتي

نتيجة لعدم وجود ذرية من الذكور عند الرجل ذي السلطة والنفوذ، فتنتقل الى احدى النساء سواء كانت الزوجة او الابنة والتي تتميز بقدرتها على القبول بالخواص الذكورية والابتعاد الى حد ما عن خواصها الانثوية. من هنا يمكن التعرف على منبع القول الى يتكرر دائماً لوصف اولئك النسوة ومفاده: انها كالرجال، امثال جان دارك في فرنسا، الاميرة كاترين من روسيا، رابعة العدوية في الاسلام، خانزادي سوران و ام واخوات شيخ العشائر السورجية من كوردستان، قرة العين من ايران.

في هذا العصر ايضاً هناك نساء معروفات يعتلين مناصب رئاسية في بعض الدول، مع ذلك فأن وجودهن في تلك المناصب لايعني ان المرأة في تلك البلدان مستقلة بذاتها، كما هو الحال مع اندريا غاندي في الهند، بنضير بوتو في باكستان، رئيس جمهورية بنكلادش هي امرأة مع انه تمارس في بلادها اسوأ القوانين والاعراف الموجودة ضد المرأة.

في مرحلة الرأسمالية، اصابت العلاقات الاجتماعية تغيرات جمة. التكنولوجيا، سهلت عملية حصول البشر بشكل عام على المعلومات، والحصيلة كانت تهجين ثقافة المرأة على كافة الاصعدة العلمية والسياسية والاجتماعية.ومع ظهور النظام

الحزبي والنقابي في القضايا الاجتماعية، سهلت عملية سير المرأة نحو مسار فكرة العدالة الاجتماعية، ليتمكن رويداً رويدا تنظيم وانشأ حركة خاصة بهن. منذ القرن التاسع عشر الى هذا الحين، مع توسع الحركة العمالية، ظهرت الى السطح الحركة النسوية. ومن ثم برزت عدد كبير من النساء ذوات الشخصية النضالية وذاع صيتهن كمناضلات، امثال كلارا زتكن، سيمون دي بر، الام تريزا، نوال السعداوي، تسلية نسرين، توجان فيصل، ميهرانكيزي كار، كذلك من داخل الحركة التحررية ظهرت العديد من المناضلات.اللواتي اشتركن في مجال العمل القيادي السياسي والاداري وبعضهن اشتركن حتى في النضال العسكري. لكن ادوارهن لم تكن فعالة ومؤثرة، وبأعتقادي هذا هو سبب عدم تحولهن الى نموذج مثالي لنساء بلادهم.

وآسفا على جدب الدول الاممية المستقلة، تلك الدول التي انتجتها الحركات التحررية الوطنية في القرن العشرين، حيث غدا فيها قضية المرأة، احدى الاشكاليات الرئيسية في طريق عملية دمقرطة دولهم. ان مرحلة الديمقراطية لن تنطلق في دول عالم الثالث، اذا ما استمرت عملية اضطهاد المرأة على الحال ذاته. لأن الديمقراطية عبارة عن خطوات جبارة نحو الفكر الجوهري لمعالجة قضية المرأة.

(ثامنا)
المنظمات النسائية
في كوردستان

الحديث حول حرية المرأة، انطلقت داخل الحركة التحررية الكوردية، منذ بداية الاربعينيات، ونفذت الى داخل برامج الاحزاب المناضلة. بعد تأسيس الدولة العراقية، تم تجميع هذا الكيان السياسي المسمى (العراق) بالقوة، لذا لم تهداء امورها كثيراً حتى يكون بمستطاع المثقفين والمفكرين الكورد نساءاً ورجالاً المتسع من الوقت
لتأمل تجارب العالم المتقدم فتنعكس على رؤياهم السياسي المستقبلي. فمنذ اليوم الاول من اعلان دولة ما بأسم العراق، وكوردستان تناضل في سبيل التحرر والاستقلال.
قرب العراق من البحر واتساع نطاق اسواقها، من خلال تجارة النفط وبدء الشركات الانكليزية بالعمل على استخراج النفط، وانشأ خط الحديد واستخدام القطار، فوقع المراكز العمالية، تحت تأثيرات الواقع الجديد مما سبب في تغيير المجتمع العراقي التقليدي بشكل سريع. وقد بدء الاشتراكيون والبلاشفة الروس منذ عام ١٩٢٠ بتنظيم نشاطاتهم، مما اثروا بشكل كبير على

قسم من حركة التحرير السياسية الكوردية.
من ثم كانت للشخصيات الوطنية من داخل حركة التحرر لوطنية اثر بالغ في نشؤ حركة تحررية ضد الاستعمار، وشكلت الاشتراكية الجزء الاعظم من نشاطات هذه الحركة.
اثر الفكر الاشتراكي على التركيبة الذهنية للتيارات السياسية في عموم العراق. وايضاً ظهرت تأثير الايديولوجيا الاشتراكية على الفكر القومي الثوري في كوردستان، خاصة بعد ثورة شيخ محمود في كوردستان، ومع خمود جمرة الثورات البارزانية في اواخر الاربعينيات، لقد كان مفهوم حقوق المرأة في مقدمة تلك المفاهيم التي تبلورت تحت تأثير الفكر الاشتراكي وانتشرت بعدها في وسط الحركة التحررية، واذاً فأن الاتجاه العام لقضية المرأة في كوردستان، كانت قريبة جداً من الايديولوجيا الماركسية. وهذا ما سبب في وصف هذه المسألة انذاك، من قبل معارضيها، بأنها فكرة مبنية على الالحاد والاباحية. مع ذلك استمرت الحركة التحررية في دعوتها لهذه القضية وتمسكت بها واعتبرتها شرطاً لتحقيق الديمقراطية، ووضعتها في مقدمة اهدافها ولم تخلي سبيل هذه القضية.
اذا ما طرحنا سؤالاً؛ مفداه ما هو المفهوم العام لدى المناضلي والمثقفي السياسيي حول قضية حرية المرأة على طول هذه السنون

الثماني؟ ممكن جداً الاقتراب من الاجابة على هذا السؤال: يمكن ان نتلمس حرية المرأة من خلال الحريات المدنية التي حققتها، خاصة في مجالات: حرية التزاوج، الدراسة، العمل، المشاركة في الحياة السياسية بشكل ملحوظ. ان المرأة في بدايات انطلاقة الثورات، كانت محرومة بشكل كلي من كل حقوقها الاساسية، ولم يكن هناك اساسً مفهوماً يدعى حقوق المرأة.

في البداية كان تعريفنا للمرأة الحرة في مجتمعنا، يشكل انساناً كلاسيكياً من حيث السلوك والفعل والتفكير، بعبارة اخرى اذا ما تحررت المرأة عليها ان تدرك وتحافظ على حدود الحرية التي وصفت لها، وان المرأة المثالية هي تلك التي تحافظعلى نفسها. ودوماً كانت صفات الشجاعة والحب والافتداء في سبيل الوطن، من الصفات المتفق عليها عموماً. بالطبع ان الخلط الحاصل ما بين الحرية والشجاعة،كان اساسها المنطلق العام الذي يؤكد على ان امتلاك المرأة للصفات الرجولية كالشجاعة والاقدام وحب القتال والابتعاد عن الرغبات الانثوية، حينها فقط تكون مؤهلة للحصول على اقصى درجات ثقة الرجل. لذا دوماً يذكر في الكتب والقصص التأريخية اسم جان دارك كمثل اعلى للمرأة، جان دارك تلك

المرأة التي لم تمتلك صفة انثوية واحدة وكانت في ساحات الوغى محاربة بأسة الى درجة لم يعرف احد انها امرأة الا بعدما قاموا بآسرها. هذه السيرة يذكرني بمقولة الشاعرة الايرانية المعروفة (فروغي فروخزادي) عندما قالت: ان عشق المجنون لليلى، ليس حباً، بل هو اشبه بحالة صرع لدى رجل مريض.

كل الكتاب والمنظرين في هذا المجال كانوا رجالاً، ومعظم الاراء اتخذت اتجاهات جنسية، سواء كانت سلبية او ايجابية، الى ان وصل الحال بالرجال الذين يؤيدون الحرية الجنسية، بأن يطالبوا بكل الحريات لنساء غيرهم، ولكنهم في الوقت ذاته يرفضونها لافراد اسرهم من النساء ويعتبرونها من الممنوعات. القصص والحكايات والاشعار في ذلك الوقت، فاضت بمعاني ودلالات حريات المرأة، لكنها جوهرياً لم تتخطى المقامات (حيران ولاوك) التقليدية. والى هذا الحي يتعاملون في هذا المجال مع جنس المرأة على اساسس انه المحور الرئيسي للحرية الانسانية.

قامت الاطراف الحزبية داخل الحركة التحررية في كوردستان بأنشأ المنظمات الخاصة بالشؤون النسائية، وشكلت هذه المنظمات جزءاً لا يتجزء عن احزابها. وعند اتخاذ المواقف

السياسية كانت تتحول مباشرة الى الجبهة الحزبية المنتمية لها. لكن على الجانب الاخر كانت لتلك المنظمات ذي فائدة كبيرة، فقد استطاعت الى حد ما ان تجعل من حقوق المرأة جزءاً من ثقافة الثورة التي اسبغى عليها الشرعية في سياق بعدها الاجتماعي. وأن كان هناك خلافاً في الرؤى حول سطحية وعمق اعمالها.

اذا اردنا ان نتابع بعين ناقدة ما قامت به تلك المنظمات، نسطتيع الاشارة الى عدم قدرتها على الانتشار جماهيرياً، كما انها لم تعمل على خلق ثقافة خاصة بالنساء للمعرفة والدراية بأبعاد حريات المرأة في حد ذاتها. والنتيجة ان الافكار التي طرحت كانت اغلبها ذات بعد واحد وذكوري في الوقت ذاته، لا تلتمس فيها الابعاد الانثوية. لذا نفتقد الى شخصية مناضلة في هذا المجال، تخاطب الجماهير ويستمعون بدورهم الى ارائها، وهذه اشكالية كبيرة خلقت فراغاً واسعاً امام قضية المرأة، ومن غير الممكن اثراء هذه الفجوة عن طريق الرجل.

بعد تحرير كوردستان، توسعت دائرة تعاطي اشكالية المرأة، بالرغم من المجهود الكبير التي بذلت من خلال الاعلام وتأسيس المراكز العصرية لتلك المنظمات، لكن اذا ما لم تمد

الاحزاب المسؤولة يد العون لها، فسوف لن يكون في مقدور تينك المنظمات حتى على تنظيم حلقة صغيرة حول قضيتهن. والطامة الكبرى صد الجماهير النسوية في كوردستان لندائات تلك المنظمات. هذا الواقع يعزز حقيقة مرة، وهي انه بالرغم من اهمية وجود المؤسسات النسوية الذكورة، الا ان وجودها ثقافيا وتنظيمياً، يفتقد الى جذور متأصلة داخل المجتمع النسائي. لذا يفتقدون في الآن ذاته الى خطاب بيّ وفعال، ولا يتخذون المواقف المطلوبة عند الحاجة او بالتزامن مع الاحداث المهمة، فهذه المؤسسات او المنظمات، لا يعبرن بأي شكل من الاشكال عن الواقع الحي للمرأة في المجتمع،كذلك لا يعيرّن اهتماماً للظغوط الجماهيرية في الشارع اوقات الازمات، فهم يجلسون على الجانب الآخر في انتظار شارة الحزب في كل حركة ونشاط.

وفي المرحلة الراهنة، تتمثل العادات والتقاليد في المجتمع كوردستاني، وممنوعات الدين، من اهم العقبات امام تقدم المرأة. ويؤدي تفعيل هذان العاملان الى تكوين القوة الاجتماعية التي تستخدم للحئوول دون تقدم المرأة وهدم كل ما تم بنائه. وتستمد العادات والتقاليد المحافظة قواها من مفاهيم العنف العشائري والعائلة البطريركية، وايضاً يمكن تلمس

تابوهات الدين من مواقف الشخصيات والمنظمات السياسية الدينية المتطرفة.

في المدن والقرى الكوردستانية المحررة، تقتل فيها النساء على الملأ على ايدي ازواجهم واسرهم. اما المجتمع والقوانين فكانت تقف عمياء ومحايدة امام مرتكبي الجرائم النكراء تلك. الى هذا الحين مازال قانون (غسل العار) العراقي والذي يمكن من قتل المرأة سارياً في كوردستان. ولم تتكفل المنظمات النسائية على نفسها حتى بتنظيم مظاهرة احتجاجية واحدة ضد هذا القانون الجائر بحق المرأة. وكان لرئيس حكومة كوردستان دور ريادي في الوقوف ضد قانون غسل العار الجائر وتغييره، لم يتعرض حكومته لأية ظغوط اجتماعية او جماهيرية داخلية. والمفارقة في ان عضوات البرلمان والوزيرات والنساء اللواتي يمتلكن مناصب عالية ويترأسن امنظمات الحقوقية والنسائية، لم يبادرن يوماً او يفكروا للاقتراح على تغيير ومناقشة القانون المجحفة في حقهن.

الشخصيات الدينية والمنظمات السياسية الدينية المتطرفة، فيما عدا حثهم على الارهاب، وبث الرعب في قلوب الناس، وتخريب المؤسسات الخدمية العائدة للنساء، كانت تقوم برش النساء بمادة (التيزاب) الحارقة على النساء الغير محجبات،

وتفجير محلات ملابس الموضة وصالونات الحلاقة النسائية، الناس، وايضاً حث الناس، خاصة شريحة الشباب منهم، على معادات النساء المتحررات. اولئك الشباب الذين ينقصم التجربة والخبرة في الحياة كانت تقع فريسة سهلة للايديولوجيا المتطرفة، فكانوا يقطعون الطرق على النساء في الشوارع ويقومون بأهانتهن. الشخصيات الدينية المحافظة، كانت تقوم علناً على تشجيع الناس لممارسة العنف ضد المرأة والمدافعة عن حقوق المرأة. ان الدين يتسرب من معتقدات الناس الى السياسة، بهدف استخدامها كآدات تهديد وعنف. كل الفوران والعنف الذي يمارس بحق المرأة علناً، تأتي نتيجة لضعف اداء المؤسسات الامنية الحكومية المسؤلة عن امن وسلامة المرأة.

واستمرت القوة الثورية السابقة، على موقفها الحايد، لتقف مكتوفة اليدين امام هذا المأساة دون ان تحرك ساكناً او تتخذ موقفاً ايجابياً. وتقوم احيانا بهدف الحفاظ على مصالحها وموقعها السياسي والاجتماعي، ببضع خطوات جبانة، التي لا تشكل اي رادعاً يذكر في طريق القوى المخربة.

المهاجرين الاكراد في الغرب تجاوزت تعدادهم المليون، ويشكلون قوة ضغط على العادات والتقاليد المنغلقة السائدة في الداخل، من بين هؤلاء قلة قليلة من النساء المتحررات والمتمردات،

اللواتي ينظمن االنشاطات المناهضة للعنف الممارس ضد المرأة في كوردستان لكن بشكل متبعثر، لذا لا يمكن استشعار تأثير تلك الحركات على نصف المجتمع المضطهد في كوردستان المتحررة، فهن لايشكلن لسان حال النساء من الداخل، لذا لا نجد لندائاتهن اي تأثير يذكر، كذلك غالباً ما يفتقدن الى ميكانيزم واضح يستندن عليها في اعمالهن ونشاطاتهن. ولا بد من فهم حقيقة ان المطلب الاني والضروري لنساء كوردستان، يكمن في رفع وانهاء العنف ضد المرأة في كافة اشكالها، وذلك من خلال عملية انفتاح اجتماعي قومي يعطي للمرأة اي للنصف الآخر من الجتمع حقها في ممارسة حياتها والعمل بشكل طبيعي ضمن المجتمع. هذه الغاية تشكل البوابة التي يمكن من خلالها تحديد الحلول الجذرية للعوامل الرئيسية في اشكالية اللامسواة بحق المرأة. من هذا المنطلق، ارى ان المجتمع في كوردستان دخل ازمة ساحقة ونافذة في الان نفسه، تزامناً مع الاحتكاك الحاصل على ضوء التواصل الاجتماعي مع نساء المجتمعات المنفتحة، ومع رؤية وتلمس التغييرات التي تطرأ على النساء في العالم المتحرر، ادت الى زيادة حدة الازمة ودفعا نحو منحدر اكثر حدةً.

(تاسعاً)
الاستفادة انسانياً من التكنولوجيا

استمرت لفترة طويلة، المنافسة على مفاهيم حقوق الانسان والديمقراطية وحرية المرأة، ما بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي. فكانت النتيجة في نهاية هذه المنافسة القصيرة الآمد، اخفاق الاشتراكية. فالرأسمالية علاوةً على تمكنها ضمنياً الوصول الى مرحلة معقدة على صعيد التنظيم الرأسمالي، واصبح في الساحة النظام الاوسع دولياً، وما عاد من منافس يواجه. فغدا هذا النظام الوارث العام لكل التجارب الانسانية ضمن عملية التنمية الاجتماعية. والتكنلوجيا وصلت الى الاوج، على كافة الاصعدة الحياتية، بحيث لا تقارن مع اية مرحلة سبقتها. هذا التقدم الظاهر للعيان، تمكن من تسهيل عملية الادراك وحل المعضلات الاجتماعية، من خلال كلا المجالين الترابط والتدفق المعرفي في سياقها العالمي، كما تمكن على اكمال الثقافة الانسانية مع استخدام التكنلوجيا في الصحة وخاصة في مجال

(الجينيوم) اي الطفرة الجينية.

وينخرط مفهوم الديمقراطية يوماً بعد يوم في الحيوات البشرية وتتغلغل الى اعماق الفكر الانساني، حيث تتوسع ابعاده ضمن النظم السياسية لتشمل التنظيم الاجتماعي. العناية بمعاني حقوق الانسان غدت واحدة من اهم الواجبات التي يأخذه المجتمع الدولي على عاتقه، متجهاً نحو ايجاد آليات وسبل كفيلة للهيمنة عليها على مستوى العالم، حتى يتمكنوا مد يد العون، لكل انسان مضطهد في كافة ارجاء المعمورة.

ارتفاع حدة التوجه العلماني في سن القوانين على مستوى دولي، اعتبر مؤشراً بيناً في صالح المجتمعات. لذا اصبح مسألة سن القوانين في الدول الذي يمارس فيه العنف، وتغيير النظام التربوي، والابتعاد عن الاعراف والعادات والتقاليد السائدة، والقوانين الدينية التي تشكل تهديداً لامن وسلامة المجتمع الانساني، تحول الى جزءاً مكملاً لبرنامج عمل المجتمع الدولي. واذا استمر الحال على هذا المنوال، سنجد بعد سنوات استحالة امكانية ظهور اي شكل من اشكال الدكتاتورية في كل انحاء العالم.

الاعلام واجهزة الاتصال الاخرى، توصل بسرعة فائقة، عادات وثقافة الاختيار في سياقها العالمي الى كل فرد وبسهولة

فائقة، لتشكل تدريجياً ثقافة عالمية، علاوةً على محافظتها لخواص كل الملل والشعوب على حدا، الا أنها تشكل مضموناً عالمياً. لقد اصبح التفاهم بين البشر سهلة الى حد كبير، لذا تيسر سبل اغاثة الآخرين في هذا الزمان.

اصبح للمنظمات المدنية الغير حكومية، دوراً اكثر فاعلية، بسبب عدم التزامهم رسمياً بسياسات الدول المنتمية لها. وهي تساعد على توسيع نطاق توفير المعلومات اللازمة وتنظيم المجتمع، للمحافظة على اسس قوانين حقوق الانسان، كما يشكلون واجهة حية للقرارات الدولية، وقد انخرطت الامم المتحدة بسرعة في نسيج المنظمات ونشاطاتها.

مهمة ضمان حقوق المرأة، تتسيطر على الجزء الاكبر من عملية نشاطات اعمال المؤسسات الدولية، الذي يسعى لإضفاء الطابع الانساني على العلاقات الاجتماعية. ان اضطهاد ومطاردة النساء بذريعة الدين او اي ذريعة اجتماعية آخرى، لن يتمكن من ايجاد آذاناً صاغية لتبريراته. على إثر المؤتمرات الدولية ومن خلال اشراف مباشر من قبل الدول المشاركة فيها، تمكنوا من اجراء الكثير من الدراسات وتقصي اسباب اشكالية المرأة، انها ظاهرة حديثة وجدية، الاهتمام بقضية المرأة عالمياً، تلك القضية التي ظلت تلازم التأريخ البشري على مسار

التأريخ ـ

الحركة النسائية الحديثة في العالم، المعروفة بالفمنيستية، تهتم بكل نشاطات الشريحة النسائية والباحثي في مجال حقوق المرأة ـ تسعى وراء تحقيق ثقافة انسانية مشتركة، لتمكينها من الوصول الى حقها في المساوات، والكشف عنها للملآ، ليتمكن الاخير متابعة التجاوزات ـ

هناك مراكز ومفكرون مختصي في مجال المرأة، يسعون على دراسة ومابعة القوانيـ الخاصة بالمرأة، حتى في الدول المتقدمة ـ اضافة الى التعاطف الانساني و سن القوانيـ الخاصة، انطلاقاً من المباديء الاخلاقية والعدالة الاجتماعية، يعطى للمرأة امتيازا خاصاً، لتتمكن من العمل والتربية ومعاضدة المجتمع لها ـ فالعمل الان يتجه نحو تغيير القوانيـ التي سنت من منطلق عاطفة ذكورية مجحفة بحق المرأة ـ وسن قوانيـ اخرى لا تستهي بالانسان ـ من هنا تأتي احتمالية استمرار التجاوز على حقوق المرأة ـ لذا حتى في الدول الاكثر تقدماً، نجد المرأة تراتبياً موقعها مقارنة مع الرجل ادنى درجة بكثير في ادارة المجالات الرئيسية ـ فحتى الأن ـ بالرغم من القوانيـ المتطورة ـ المرأة لم تسطع منافسة الرجل على الصعيدين الانتاجي والمشاركة الاجتماعية ـ هناك اراء مختلفة للعديد من الباحثي

المختصين، احد هولاء المفكر الامريكي فرانسيس فوكوياما، الذي قدم بحوثاً جلية حول مجتمعات امريكا واوروبا واليابان، استنتج فيه ان الانفتاح الموجود في البلدان المتقدمة، ساهم في توفير المجال امام مشاركة المرأة في الكثير من المجالات الاقتصادية، الادارية، الفنية، التربوية، الصحية، والكثير من المجالات الحيوية الاخرى، وان القوانين جميعها في صالح المرأة، والمجتمع مهياء بشكل جيد لمساندة المرأة، مع ذلك مازالت النضرة الدونية نحو المرأة مستمرة.

من جانب آخر، في المجتمعات المنفتحة الخوف يهيمن كلياً المرأة، الامراض المزمنة مثل: الدورة الشهرية، الحمل والولادة، تطالب بأستمرار الالتزام بالعمل و الخبرة في مجال العمل. كل شخص حتى الرجل، عندما يغيب شهرياً بصورة متواصلة لمدة كم يوم، اضافة الى تدهور الوضع الصحي، سوف يتأخر في عمله، لأنه يسبب في انخفاض نسبة المشاركة الانتاجية والخبرة العملية. لذا لو ابتعدنا عن المفاهيم الاخلاقية والعدالة الاجتماعية، في المجتمعات التي لا تتعرض المرأة فيها لظلم الرجل او العادات والتقاليد البائدة، عليها مثل شبهيها الرجل، القبول بنتيجة الغياب ونقص الخبرة، وعليها بترتب التقليل من دخلها ودورها ايضاً.

واذا ماردنا التعامل مع المرأة، من منظور مصلحة المجتمع وديمومة التقدم الانتاجي، فأن ذلك يستوجب، ليس فقط القيام بعملها، بل ايضاً تماماً مثل جميع افراد المجتمع، عليها المنافسة في سبيل الحصول على مواقع نافذة وجديدة. لأن مؤشر تقدم المجتمع يكمن في التقدم وزيادة الانتاج، وثم العودة الى مبداء المساوات. ليس من دولة تسطيع من خلال العمل وفق مبداء المساوات فقط، على المنافسة في سبيل التقدم. هذا المنطلق هو حقيقة ثابتة في كل المجتمعات الانسانية. يستطيع الانسان تحقيق العدالة عندما يمتلك فئة جامعة من العلماء والمنتجيو والاغنياء، فالعدالة لا تتحقق في ظل التخلف والحرمان. لذا نجد في الدول المتقدمة، اولئك الذين جاهدوا في سبيل قضية المرأة وعلى الرغم انهم استطاعوا انجاز مساعيهم في بلدانهم، والذي نحلم بها في بلادنا، الا ان قضية المرأة ظلت في مكانها، والحركات الفمينستية مازالت تتوسع.

حقوق الانسان والعدالة الاجتماعية لم يتمكن لوحده ايصال المرأة الى موقع يرضي كامل انسانيتها.لأن نقص قدرات المرأة والمرض الطبيعي، الولادة جميعها يقف حائلاً امام المرأة مثل الشبح نفسياً يطيح بها ارضاً.هذا الشبح الئي لايفكر فيها

الرجل مطلقاً، ولا يهابه النتائج، لأنها فقط المرأة هي المعرضة لذلك الوضع. ان المرأة التي تمتلك الحرية والعمل كأي رجل ويساندها المجتمع، وفجأة من دون ان تشعر تصبح حبلة، مما يعني فشل كل البرامج التي تعمل عليها.

ضمن هذا المجال، استطاع تكنولوجيا الصحة، مساندة المرأة تدريجياً. ادوية منع الحمل، والطرق الاخرى للحد من النسل، الى حد ما هدهد من روعها. ثم سهولة الاجهاض، ووسائل المنع الرجالي، كان له دور ايضاً في مساندة ودعم المرأة، مع كل ما مضى لم يعالج مشكلتها الرئيسية. هذا اذا ما استثنينا مواجهة المجتمع في استخدام تلك الوسائل، عندما يصل تكنولوجيا الصحة الى مستويات اعلى، من مستوى التقدم السائد، ووقف الثقافة السائدة بالضد منها، حينها تبداء مرحلة جديدة من نضال المرأة، والذي يحتم عليها تهيئة المجتمع والتفرغ لها زمنياً.

وايضاً لا ننسى التجارب العلمية في مجال الجينيوم، او يمكن القول ان الجينيوم يبعث التفائل في قلوب البشر.اذا ما استطاع انجاز مساعيها في ازالة الجزء الاكبر من الام المرأة، على اقل تقدير في الاجيال القادمة. على اية حال، ان السبب الرئيسي في تأخر المرأة يعود الى العوامل الجسدية،

والتي يمنعها من منافسة الرجل. لم يعالج عن طريق القوانين والعدالة والخير والموعظة، لذا على الانسان ايجاد وسيلة عملية لهذه المعضلة، وكلامي هذا لا يعني عدم امكانية تطوير الفكر، لتساهم على تعاضد الجنسين المختلفين من البشر ضمن المجتمع البشري. لابد الاستفادة من كل التجارب البشرية الصالحة، سواء المنبثقة من الاساطير او الاديان، كذلك من الاخلاق الانسانية المتطورة، والنظم القانونية المتقدمة، تهيئة واعداد الرجال في سبيل تقديم تعاون اكثر،استخدام القوانين ضد العنصريين من الرجال والذين يمارسون العنف ضد المرأة. لكن بالرغم من ذلك، القضية مازالت مستمرة، اذاً لابد من ايجاد معالجة واقعية. وتوظيف العلم لخدمة قضية المرأة، حتى يكون بالامكان اضافة الى اعادة صياغة القوانين والعمل على اصلاحها، القيام بالعمل ذاته في مجال العلم واجراء الاصلاحات فيه. وهناك في الطرف الآخر مجال التطور التكنولوجي الذي يقدم مساعدة كبيرة لرفع مستوى مشاركة المرأة والتقليل من الفروقات الموجودة في تكوين المرأة مقابل الرجال.

غايتي من هذا الطرح ليست الادامة في اضطهاد المرأة، او الوقوف مكتوفي اليدين ازاء هذا الظلم القائم ضد النساء

عامةً. وليس من الصائب استغلال هذا الاتجاه الفكري الذي اتبناه هنا، في سبيل دعم العادات والتقاليد السائدة التي تعيق تقدم وحريات المرأة. والافكار التي سبق وطرحتها ضمن هذا الكتاب، ماكانت لها ان توجد، لولا وجود فضاء مفعم بحريات المجتمع المدني. المجتمع الذي يستبدل العادات المعتقدات البدائية، بقوانيٍ حديثة تخدم مصالح الانسان برجاله ونسائه.

ان تطور اجهزة الاعلام وتعدد اشكاله وانواعه، في نقل المعلومات وتوصيل اشكال الثقافات المتنوعة، مع فرض الانفتاح على الحضارات المغلقة، يسهل الطريق امام كفاح المرأة، نعلم ان في هذا العصر بأستطاعة فئة محددة من النساء المقتدرات والماهرات، وفي زمن قياسي، لفت انظار العالم اليهن، من خلال الابلاغ عن حدث ما خاص بالمرأة، في سبيل قضيتهن، الشيء الذي لم يكن يراود حتى خيالاتنا، ويمكن اعتبارها مقدرة اضافية اكتسبتها المرأة من خلال التطور التكتولوجي.ان مجموعة من النساء باتت قادرة على نقل اكثر اشكال الظلم خفيةً الممارس بحقها، عن طريق تسجيل مقاطع فديو حولها ونشرها للعالم، عبر شبكات الانتريت بكل سهولة، كشف الانتريت عن اكثر الجوانب السرية والمحظورة في حياة الرجل

حيث كان يقوم بأخفائها خلف جبل صخري هائل، اليوم تحولت الى قطعة زجاج شفافة لايمكنه اخفاء اي شيء من خلالها. وغدا توعية المرأة عملية سهلة للغاية، فمن خلال الافلام والصور، فمن خلال نقل الاحداث والقوانيد واساليب الحياة التابعة للشعوب الاخرى، اصبح بمقدور المرأة في كل الاوقات والمناسبات، مقارنتها بالقوانيد والاعراف السائدة في مجتمعها، وتشكل المرأة الطليعة المتقدمة في المجتمع، لفهم وقبول الثقافة العلمية الحديثة، فهن مقارنة بالرجال، من اكثر الشرائح الانسانية انفتاحاً، دوماً نجد شريحة الذكور هم الاكثر اندفاعاً وتمسكاً، للدفاع على الخصوصيات المحلية، بهدف المحافظة على العادات والتقاليد السائدة بكل ما تحملها في ثناياها من ظلم واجحاف بحق المرأة، فقط هم الرجال يعملون من اجل هذه الغاية، بطبيعة الحال هناك نساء ايضاً، تساند هذا الاتجاه بسبب وقوعها تحت تأثير الثقافة السائدة.

على الجانب الآخر، مقاومة المجتمعات المنغلقة اتجاه الانفتاح الثقافي نحو العالم، لم تعد كما كانت سابقاً، فقد اهتزت دعائمها الى حد كبير. كم المعلومات والتصورات التي تصل الى الانسان، خلق له قدرةٍ، وان تأخر فاعليتها، فسوف يدفع به الى التخلي عن المعتقدات الاعجازية التي لايمكن تبريرها

في هذا العصر، ليفكر لاحقاً، بالقيم الحديثة، والقوانين المعاصرة، ويقبل على ممارستها.

توسع مجال مفاهيم الانسنة والتسامح والتضامن الاجتماعي، على اعتبار كونها المكون الرئيسي للثقافة الانسانية المعاصرة، يضيف على استقلالية النساء مقومات اخرى.لآن هذه المفردات يشكل الجانب الرئيسي من شخصية المرأة. فعلى صعيدي التركيبة البيولوجية والفيزيولوجية للمرأة اضافة الى موقعها الاجتماعي و البناء السايكولوجي، يجعلها بشكل عام، انساناً يتميز بصفات الرحمة والتسامح والتضحية وقبول اختلافات الآخر و وعدم الرغبة في محو المعادين لها. وعندما يتلاحم مع هذه الصفات اسس تربوية علمية، فسوف يتوج شخصية المرأة بالفطنة، الى درجة تتحول بكل سهولة الى مثل اعلى للانسان المتكامل المعاصر، اعني ذلك الانسان المتكامل الذي كان افلاطون والفلاسفة الآخرون والانبياء والعلماء يسعون وراءه ويعملون على تربية الانسان لكي يصل الى تلك الدرجة من الكمال.ولا اتبنى هذا المنظور بغية المزايدة على المرأة لغايات جنسية كما الحال مع فئة الرجال الذين يتملقونها بأستمرار.فأذا كانت الظواهر الطبيعية وصعوباتها اخصبت الفكر الانساني، لماذا لا تغدو سلوك المرأة مصدر الهام للفكر التسامحي وقبول

الآخر رغم اختلافه فكرياً؟ او اعتبارها المعلم الاول لمعنى الحرية وغض الطرف عن سوء معاملة المحيطين بها واحترامها لكيان وقيمة الانسان؟ لو دققنا النظر، سوف نعثر على الكثير من الامثلة اوقات الخلافات الاجتماعية في بلادنا، عندما تقوم اثناء اتخاذ قرار غسل العار من قبل الآب او الاخ بحق زيجاتهم او اخواتهم او بناتهم، فتقدم الام او الاخت واحياناً الزوجة الثانية على انقاذ المرأة الضحية وتعاضدها لكي تهرب وتخرج من جحيم محقق، فعندما تجد نفسها في موضع المقارنة بين شرف العائلة مع حياة انسان آخر، فأن الاولوية ستكون من نصيب انقاذ كيان انساني، وتجده اكثر قيمةً من شرفها وشرف رجلها.لذا لابد ان تكون المرأة المصدر الرئيسي الوحيد في نقل القيم والمباديء الاخلاقية الراقية عبر مسار التأريخ البشري، الانسان الكائن الذي عايش قصة ملحمية تفيض بالدم والآلام والذنوب، ومع ذلك لم يستطع الى الحين ان يكون انساناً.

عاشراً
وقفة مع وجهات النظر

في المجتمعات الاسلامية، خاصة في الشرق بشكل عام، هناك نقاش واسع حول اشكالية المرأة. لا اعني بالواسع، الهدوء والشمولية في فهم الموضوع، فاللاسف في هذه المساحة الشاسعة من الكون، هناك الكثير من الاصوات المختلفة حول موضوعتنا المذكورة، لكن ادراك ابعاد الموضوع تشكل نسبة اقل بكثير. وكثيراً ما تحولت المواجهات الفكرية والايديولوجية، الى مواجهات دموية عنيفة واعتداء بعضهم للبعض الآخر. هذا الاسلوب مستمر منذ ازمنة بعيدة، ومازالت، الى الحي لم نجد جبهة واحدة تتعامل بهدوء وروية بعيداً عن القسوة والعنف مع الجبهة المقابلة. الزمن والتجربة يفرض علينا ضرورة تخطي وتغيير اساليب العنف هذا، الذي لم يودي الا الى سكب الدماء ودفن سبل التفاهم. في باكستان وبنغلادس هناك تتربع امرأتي على موقع رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء، لكن هناك ايضا نساء تينك البلدان تتراوح اعدادها بالملايين، يمارس في حقها جرائم القتل والاضطهاد والظلم والدونية، يهتك عرضها في عقر دارها وفي السوق وفي كل مكان، في هذين البلدين

اذا قام رجل وطلب يد امرأة للزواج ورفضت الآخيرة الاقتران به، فأن بأستطاعة هذا الرجل حرق وجه هذه الأمرأة، بصورة لاتسطيع فيها مدى الحياة الزواج من آخر.

عندما يأتي الحديث عن مصدر هذه الثقافة التي تضفي الشرعية على اضطهاد المرأة، بعض وجهات النظر تشير الى الافكار الاجتماعية التي اولدتها الشريعة. ويعتقدون بأن القوانيـ الدينية يفرض على الانسان هذا الاسلوب في الحياة. لهذا السبب نجد قسم من المفكرين، يربط معالجة اشكالية قضية المرأة بعملية اقصاء القوانيـ الدينية في المجتمع.

بعد وصول الافكار الماركسية في بدايات القرن الماضي الى داخل الحركات التحررية الوطنية، اضافت تحولات كبيرة على الاتجاهات الفكرية الخاصة بالمرأة، خصوصاً في اوروبا، حيث مرّ على قضية المرأة زمن وهي ضمن موضوعات النضال الاشتراكي ضد الرأسمالية. مواجهة الشعوب المسحوقة لمستعمريهم اصحاب الاديان الاخرى، كانت على يد رجال الدين الذين قاموا بتنظيم النهضات ؟؟؟

على اعتبار ان الاستعمار كان عامل تغيير، على الاصعدة الحياتية الاقتصادية والادارية والاجتماعية في حياة شعوب الشرق، وشكلت عامل ضغط ذاتي، لنشأة الفكر القومي. من

داخل الحركات القومية تلك، كان هؤلاء المثقفيـ روادا، ليس في مطالبهم الوطينة فقط، بل طالبوا بأعادة التنظيم الاجتماعي ايضاً، لكن وفق اسس حيثة ومختلفة الى حد ما. من هذا الاتجاه يمكن الوقوف عند افكار بعض هؤلاءالمكرين والناشطيـ من العرب والترك والفرس، الذين ظهرو في اواسط القرن التاسع عشر. خطا بعض منهم في مجال مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية، العديد من الخطوات الجدية، مطالبيـ في الآن نفسه من المفاتي الدينية اجراء التغييرات في التربية الدينية. بعد ذلك ظهر اختلافات كبيرة بيـ اهداف هؤلاء المفكرين واصحاب السلطة الدينية.

فوقف الكثير من المفتييـ انذاك، وكان لهم تأثير قوي على الناس، ضد الافكار التي ذكرنا انفا، فهم رفضو البته الاعتراف بأبسط حقوق المرأة. مراجعة مشكلة الفكر–الديني حينذاك، خاصةً في الاوساط الفكرية الكبرى في العالم الاسلامي–استانبول، طهران،قاهرة– يبيـ لنا هذه الحقيقة.

المشكلة الداخلية للقيادة الفكرية والسياسية للحركات التحررية، اخذهم رويدا رويدا نحو القطيعة، فكانت النتيجة، ارتد الجناح الاسلامي نحو الضفة الاخرى كأحتجاج دينيي ظل دائباً في المواجهة. وعلى الضفة الاخرى، اتجهت نحو العلمانية في

برامجها. هذا ما جعلها في سياق المنظور الاجتماعي تنتج مزيجاً من الماركسية–الليبرالية. ولكن من الناحية التطبيقية، في ما كان يشمل المرأة، لم تستطيع تخطى حدود الثقافة السائدة.

هذا الواقع الذي سبق وذكرناه، تسبب في تقهقر الافكار الجدية حول مسألة المرأة، خاصةً التفكير في جزئيات كل منطقة على حدى حول هذه المسألة، قد غضى النظر فيها، عوضاً عن هذا، المواجهة بين الفكر الديني والشعبي المتحرر، اخذ اتجاه حاد من التطرف. وغدا التطرف بين الجبهتين الفكريين الجبهة الدينية السلفية والجبهة الماركسية، المحرك الديناميكي لزستمرار هذا الصراع.

وفي النهاية، الحياة اثبتت ان المنظور الديني، متشرباً النزعة السلفية المتطرفة، لم يستطع ايجاد الوسيلة الملائمة للاجتهاد الديني ومسايرة العصر.الشيء الذي اقصاه بعيداً عن حركة التحرر الوطنية. فعوضاً عن العمل في سبيل ايجاد الحلول الميسرة، للأزمات الاجتماعية، وتحرير المرأة من القيود التي تلف ايديها وقدميها، كانت تقوم على تحريض العنف من خلال فتاويها انذاك.

وعلى الجانب الآخر كان الماركسيون والمتحررين يقترحون موديلاً،

لاتتناسب بأي شكل مع الواقع ومع طراز وخصوصيات مجتمعنا، متغافلين عن ثقافة مجتمعهم، وكان هذا كفيلاً، بعدم تحقيق نجاح يذكر، في مجال المرأة في بلادهم، هذه الرؤيا تسبب في مكوثهم ضمن نطاق فئة فكرية ضيقة.

في هذا العصر، عوضاً عن التيارات الفكردينية، التي ترى الحياة الاجتماعية خاصةً ما يخص قضية المرأة، تكمن حلها من خلال العنف، ولد تيار ديني آخر، يؤمن بقدرته على بلورة نظرة مستحدثة لقضية المرأة. ويعتمدون في استصدار احكامهم، على تأويل وتفسير النصوص الدينية المقدسة، كذلك الاعتماد على تفسير اعمال والسلوكيات الخاصة بالنبي (محمد). من هذا المنطلق، يقدمون نسق خاص بالتفسيرات المعاصرة لموقف الدين ازاء المرأة، والاعراف والتقاليد والقوانين السائدة في المجتمع المستمدة من الدين، واجراء بعض التغيرات عليها. هذا العمل كان من المفترض العمل فيها من قبل اصحاب الفتاوي في القرن التاسع عشر. لكن لماذا لم يقوموا بذلك؟ هناك اجابة قريبة من الحقيقة، مفداه ان الدين لا يمكن اجراء التغييرات فيه، لأنه مقدس وعليه من المفترض ان يتوأم معه البشر، او، الاعتماد على قانون آخر، مع مراعات عدم المساس بالدين.

هذه الرؤيا تنطوي عليها، العودة الى المحاولات الفكرية الاصلاحية ضمن المجتمع الاسلامي في نهاية القرن التاسع عشر. وعليه يجب العمل فيها، كجزء من الافكار المطروحة في الساحة الفكرية. لكي نحصل في النهاية على، تفسير لحرية المرأة مسبوغة بخواص اقليمية. ولابد من القول انه في الحقيقة، مامن دين قام بتغيير معتقداته المقدسة، لذا ليس بالضرورة انتظار شيء من هذا القبيل من الدين الاسلامي. لكن يمكن العمل وفقاً للقوانين الخاصة بحريات المرأة، التي لا تعادي الدين ولاتثير الشعور الديني.كي يكون بالامكان المطالبة من اهل الدين، عدم التدخل في الشؤون والقوانين الحكومية.

في بلادنا هناك جناح قومي، يطالب بضرورة مراعاة الاصالة الكوردية في التعريفات القانونية، المخصصة لحرية المرأة. اصحاب هذه النزعة لاتتوافق، لا مع العنف الديني، ولا مع الحريات التي يطالب بها المثقفين المعاصرين. بل لديها رؤيا خاصة بها، تعتقد فيها، ان للكورد خصائص معينة حول مفهوم المرأة الحرة والشجاعة، ويتحدثون عن المرأة ومشاركتها في العمل النتاجي والحياة الاجتماعية، حيث لم يكن يفرض عليها اي ممنوعات ضمن الحياة الاجتماعية، ويأتون بأمثلة عن

العادات والتقاليد المعتدلة والتي مازالت تمارس في بعض المناطق المذهبية والصوفية. ويذكر على سبيل المثال، (خانزادي سوران)، (حەپسه خانى نقيب)، (مستوراي اردلان)، هؤلاء النسوة هن مناضلات وفدائيات شاركن في الثورات الكوردية. من الطبيعي القول، بأننا شعب حافظنا على كياننا من خلال المقاومة، الى ان حققنا الاستقلال في جزء من كوردستان الكبير. ويظهر اننا اصحاب خصوصيات قومية، يفرقنا عن الدول المجاورة وشركائنا في الاديان. لذا لابد من عدم اغفال تأريخنا الخاص فيما يخص مسألة المرأة، مع الآخذ بعين الاعتبار مميزات العادات والتقاليد القومية المعتدلة الخاصة بنا. الى جانب ذلك. يجب ان نعلم بأننا أمة لها علاقات متينة مع العالم. فبعد مائة عام، من الكفاحفي سبيل الحرية، في النهاية استطعنا، بمساندة المجتمع الدولي تحقيق غاياتنا. نحن لا نستطيع الوقوف محايدين امام قافلة التقدم الانساني، يجب ان لا نخاف من الحرية والديمقراطية في مجتمعنا، لايجب ان نهاب او يردعنا فتوى احد رجال الدين بحجة المحافظة على الاداب والتقاليد، ليس من المفروض الهروب من الحرية، لايمكن بأي شكل تفسير الاصالة في ثقافتنا، عن طريق افكار سلفية خفية. بطبيعة الحال كل محاولة اخرى بعكس الذي قبله،

تقوم بأسم الحرية على تقليد المظاهر الغربية، الغريبة على ثقافتنا، لن يساعد على بناء المعتقدات العامة. من الضروري ايجاد قانون معاصر، يوازن بين المعتقدات العامة وخصوصية الحرية الفردية، ويحددها. علينا أخذ الحيطة من مغبة الوقوع في تبريرات الافكار السائدة، على حساب الحريات الفردية، التي تعتبر اسس التقدم الانساني.

ما له علاقة بمفهوم المرأة الشجاعة والحرة، اعتبرها نوعين من الوجود المختلف، لاشك ان خلال مسيرة النضال التحرري في كوردستان، كانت تتواجد الكثير من النساء الباسلات والجسورات والفدائيات،اولئك اللواتي كن امهات وزوجات شجعان للبيشمركة، او اللواتي كن يتحملن ثقل حمل ترملهن بسبب شهادة ازواجهم، او احد افراد اسرهم، فيحملن على اكتافهن لوحدهن عبء الحياة القاسية، كن يساندن البيشمركة، ويتحملن عذابات التهجير وعمليات الانفال (الابادة الجماعية)، يتحملن الاغتراب والجوع والترحيل القسري، والعديد من اساليب الاضطهاد القومية الاخرى في عمق نضالات امتنا، والنساء اللواتي انخرطوا في العمل الحزبي السري، واللواتي وقفن محايدات، ودخلت نيران الحروب في عقر دارهن عندما كان الحرب يخطف احبائهن، هؤلاء النسوة جميعهن نماذج حي

للشجاعة والبطولة في امتنا، وكذلك كن ربيبات الابطال. لكن في المقابل حقيقة مرّة، ليس بالضرورة كل امرأة شجاعة، ان تكون حرة. انا متأكد من جسارة واقدام المرأة الكوردية، لكنها لم تكن يوما محررة من القيود الاجتماعية. لذا لابد عدم الخلط بين هذين المفهومين، واليوم يجب ان تجازي شجاعة المرأة، عن طريق تأمين حقها في الحرية الانسانية المعاصرة، وتأمين سلامتها الروحية الثقافية في المجتمع. وليس العمل بأسم العادات والتقاليد على اضطهادها، ثم نفسرها على انها الاصالة،التي غدت عائقا امام طريق حرية المرأة.

حرية المرأة ليست عبارة عن رأي محدد، عبارة عن بضع كلمات وبنود قانونية، بقدر ما هي عبارة عن موقف اجتماعي نابعة من سلطة رئيسية، اعني على الحكومة مساندتها.

هذا الشيء الذي يتطلب خلق ارضية مناسبة مدعمة على الصعد الاقتصادي والتربوي والتوعية الاجتماعية. والا مامن امرأة تقدر على، المجازفة بكينوتها في سبيل استقلاليتها، في بلد متأخر، هزيل اقتصادياً، وغير مهيء اجتماعياً. نحن بحاجة الى حملة جدية لاستبدال بعض القيم والعادات والتقاليد الاجتماعية البائدة، حتى تسنح الفرصة للمرأة اجتماعياً لممارسة حقوقها، ولا تقع فريسة الضغوط الغير مباشرة خارج اطر

القانون ▪
من جانب آخر، لايمكن نجاح المرأة في الحصول على حريتها مالم تتحقق الحريات الفردية بشكل عام داخل المجتمع، كما يجب ان تتغير سلطة الرجل على المرأة، عن طريق انهائها عبر القانون، لتتحول الى حرية انسانية حقيقية مماثلة ومتساوية مع ما تمارسه وما يحق للمرأة من حرية ▪ في السابق عندما كان الرجل يمارس سلطته، كانت حريته شكلية،لأنها كانت احادية الجانب ويمارس خلالها الكثير من الظلم والعنف ▪ بطبيعة الحال لأن صفة القوة موجودة عند الرجل بشكل طبيعي، ما ينطوي عليه بشكل دائم، اخذ الحيطة والاستعداد من قبل المجتمع والحكومة، للدفاع عن كل امرأة تتعرض للاعتداء والعنف من قبل الرجل ▪
المرأة المعاصرة، تشكل جيلاً مهيئاً، على الصعيدين التربوي والعلمي،في مجتمع يملك اقتصاداً قوياً، وتكنلوجيا ذو مستوى عال، كي تكون بأستطاعة المرأة العمل لتحقق كل ماترغب بها، بمستدة القانون ▪ من خلال الاستفادة من الانتاج العلمي والتكنولوجي، لتملاء بها نقصها العضلي، حتى لاتكون اقل امتيازاً من الرجل ▪ على اعتبار انها نصف المجتمع، وهو نصف مختلف عن الرجل، لكن متعادل، وتمارس دورها

الاجتماعي والعلمي والاقتصادي و التربوي، المرأة المتحررة، المعاصرة، لاتعتبر اخفاقاً للمجتمع الرجالي، بل هي في الحقيقة ستحرر القوة الحقيقة للرجل ايضاً. لأن الرجل يقوم بقضاء الكثير من وقته وطاقته، من اجل الهيمنة على النصف الاخر من المجتمع، النصف الاخر الذي يعيش عالة ولا يفسح المجال امامه كي يتشارك النصف الآخر في العمل والانتاج. النصف المكون من الرجال، يستغل سلطته تحت اية ذريعة كانت، لاستعباد النصف الاخر من مكونات المجتمع، هو ايضا ليس بأنسان حر، بل هو في الحقيقة حارس جماعة من الآسرى.

(الحادي عشر)

ماهي الخطوات المتبوعة في كوردستان

في كوردستان المحررة، لا تعتبر مسألة المرأة فقط مشكلة داخلية، بل تشكل واحدة من المعضلات التي يزرح تحتها المجتمع بشكل دائم.هذه الاشكالية تأخذ احيانا بعداً خارجياً ايضاً، فتتحول الى عامل ضغط على حكومة كوردستان يستخدمها المنظمات المدافعة عن حقوق الانسان، الدول الاوروبية والشعوب الصديقة لكوردستان، تندد بأستمرار وتنتقد الحكومة على عدم تمكنها من السيطرة على قتل النساء في بلادنا، واياً كانت الحجة او المسببات فأن كوردستان تدخل ضمن قائمة الدول المتجاوزة لحقوق الانسان، وفي السياق نفسه اعدت حقل خاص حول قتل المرأة الكوردية. ان قتل المرأة الكوردية وصل الى مستوى لايكتفي فيه الرجل بقتلها على ارض الوطن بل، استباح دمها في الخارج ايضاً، فيقتل بعض منهم زوجاتهم وبناتهم او اخواتهم في اوروبا والدول الغربية الاخرى، ويتفنن البعض الآخر فيستدرجها الى الداخل ويقضي عليها في كوردستان.

قبل كل شيء، يستوجب على اوساط علماء الاجتماع والنفس في كوردستان، دراسة وتحليل هذه الظاهرة السايكولوجية في

مجتمعنا الكوردي. لأن العنف الى هذه الدرجة، ظاهرة غريبة في مجتمع لم يتعهد هذا العنف سابقاً لا في ثقافته ولا في عادات وتقاليد مجتمعه الاصلية، فالمعروف ان سكان المناطق الجبلية، اضافة الى كونهم محاربين عتاد في موجهة الاستعمار، الا انهم منفتحين ومسالمين في علاقاتهم الاجتماعية. ويعود الفضل في ذلك الى الطبيعة الطبوغرافية القاسية والتي يتحتم عليها مساندة وعمل المرأة الى جانب الرجل.

منذ اكثر من مائة وخمسون عاماً والشعب الكوردي، في كفاح من اجل الحرية. خاصة بعد تأسيس دولة العراق في عام ١٩٥٨م، تأجج سعير هذا الكفاح اكثر، خاصة والايلحة القتالية اصبحت في متناول الجميع. بعد اخفاق ثورة ايلول، سياسة التهجير القسري والجاش والانصهار القومي والابادة الجماعية وكانت النهاية عمليات الانفال القصف الكيميائي للمناطق الكوردية. ومن ثم حرب الثماني سنوات بين العراق – الايران. هذه الامور في مجمله خلال العشرون سنة الماضية، اثرت على طبيعة العمل و دخل الفرد، واضعفت بدورها السلوك الاجتماعي المسالم والثقافة المتسامحة السابقة. وسادت ممارسات العنف والقتل والنهب ومساعدة ازلام السلطة الحاكمة انذاك. مما خلقت مناخ غير طبيعي، وظهور الامراض

السايكولوجية، وبروز سايكولوجية الانسان المقهور الغير سوي، ومن ثم مداهنة وتملق السلطة المحتلة الجائرة، من اجل الاستمرارية، هذه الظروف ساعدت في تهيئتهم، حتى لقتل الجيرة والمعارف، على امل نجاتهم. وجود قانون غسل العار، والاقرار على عمليات الانفال، هذه الامور ومئات القضايا الاخرى، البعيدة كل البعد عن ثقافة المجتمعات الانسانية المعاصرة، والتي شجعت الناس ودفعت بهم للانجراف اكثر في سلوكيات العنف والقتل والنهب، وانتشرت رويدا رويدا، السلوكيات المنحرفة كالكره والحسد الغير مبرر له، النزعة التأمرية الهدامة، اندثار الثقة، الرغبة في الثراء على حساب الآخرين، الرضوخ للسلطة الحاكمة، العمل الارتزاقي، هذه السلوكيات والصفات الانحرافية تجانست تدريجيا مع نسيج الاخلاقيات العامة في المجتمع.

عوضاً عن ان الثقافة الكوردية تتميز بطبيعتها المسالمة، فقد حرصت ايضاً، الحركة الثورية على مدى سبعين عاماً، على التعامل مع حقوق المرأة، بطريقة مماثلة، مع تعاملها في الحقوق القومية والديمقراطية التي تناضل في سبيلها، وكم من الاجيال السياسية والكوادر الحزبية الذين تربوا وفقاً لهذه المفاهيم. وفي مجال الشعر وآدب المقاومة، طرحت قضية المرأة

وضرورة توعية المرأة وحثها على النهوض والمطالبة بحقوقها الانسانية، وتكون جزءاً من الحركة الثورية. لذا فأن العنف الذي نتلمسه في الواقع الحالي في كوردستان، هو سلوك غير مألوف لحضارتنا القومية وثقافة الحركات التحررية في كوردستان.

بعد استقلال كوردستان، تولت مسؤلية ادارة دفة الحكم الجبهة الشعبية الكوردية، بناءاً على تعتبر هي المسؤولة عن كل اعمال العنف التي مورست بحق المرأة منذ ذلك الحي. الثقافة الممسوخة والغير مألوفة، التي ورثناها من النظام المحتل، غدت حملاً ثقيلاً يزرح تحت وطأته مجتمع خاض نضالاً استمر مائة وخمسون عاماً من اجل الحرية، ووعد على تحقيق حريات المرأة دام على مدى سبعي عاماً، مع ذلك كل يوم تقتل أمرأة وتدفن على مرأى من الجميع، في حي لاتسمح السلطات لا لمؤسسات الاعلامية او الثقافية لبث التحقيق والضوء فيها.

القانون ايضاً يساعد قاتل المرأة للتهرب من العقوبة وبسهولة، وكم هي ظاهرة تراجيدية عندما نرى ونسمع عن حقوقيي وقضاة كبار، يدافعون عن القوانين الجحفة والجائرة بحق المرأة. وحقاً انها لظاهرة غريبة ان لانسمع حتى هذا الحي حقوقي معروف يدافع عن حقوق المرأة. وليس لنساء كوردستان حتى الان

مناضلات وناشطات في مجال قضية المرأة للدفاع والمطالبة بحقوقهن. وعندما يتحدثن عن حقوقهن، يفاجئك ضيق مساحة رؤياهم وسطحية مطالبهن. احيانا ترغب الحكومة بحد ذاتها، ان تقوم النساء والجماعات المؤازرة لقضيتها، بالضغط على الحكومة، لمساندة المرأة، لكن للآسف انها مجرد انتظار لاجدوى منه.

هناك قلة قليلة من النساء الواعيات والمطلعات، من خارج وداخل البلاد، واللواتي كل واحدة تعمل وفقاً لمعاييرها في سبيل قضيتها. اغلبية الناشطات في الداخل يعملن في مجال الاعلام، حيث يقمن بالكتابة في الصحف والمجلات المحلية عن قضية المرأة، وبطبيعة الحال بسبب وجود الكثير من المحظورات والممنوعات في الداخل، لم يفسح المجال امامهن كفاية للكتابة عن كل ملابسات قضية المرأة وتوعية النساء الآخريات بالشكل المطلوب. وهن يمثلن ذات الشريحة التي قامت في السنوات الآخيرة على تنظيم عدة ندوات ومؤتمرات حل المرأة واحوالها. في القنوات التلفزيونية فسحت المجال للمرأة الى حد معين للدفاع عن قضيتها. ونجد محاولات لعدد من الكاتبات في هذا المجال، الا ان النساء لم تنجذب نحوهن او نحو كتاباتهن. والجدير بالاشارة ان اغلبية هؤلاء

النساء كان مجال الغالبية العظمة من البحوث والدراسات التي قمن بها، تدور حول القوانيـ الرسمية والاحكام الدينية، حيث اردن نقد كلتا المؤسستيـ، لكن بشكل غير معلن عنه.

القسم الثاني من النساء الكاتبات اللأي انتقدن اوضاع النساء في جميع ميادين الحياة، كن اللواتي يقيمن في الخارج. هذا القسم من النساء استطعن الحديث عن مشاكل المرأة بحرية آكبر، فحدود معارفهن النقدية تخطت الابعاد الدينية والقانونية، ودخلن معتركات آخرى، فأنتقدن البنية الاجتماعية والاخلاقية والعادات والتقاليد المجحفة والمسيئة للمرأة، كما توجهوا نحو الدراسات السايكولوجية لتحليل المسائل المتعلقة بحقوق المرأة والرجل، الدراسات التي قمن بها لا تصل الى كوردستان الا النذر اليسير منها، ولا تقوم اية دار نشر بالمبادرة على اعادة طبعها، وهذه الواقعة لها علاقة بالعنف الساري بحق الاوساط ؟؟ في ذاخل كورستان.

لذا لم يحصل الى حيـ زمن هذا الكتاب، اي التقاء بيـ الناشطات في الخارج والداخل. هذه الفجوة القائمة في العلاقات، اثرت سلباً على الجهود المبذولة تلك، لعدم امكانية الاحتكاك وتواصل كلا الجانبيـ، التي لم تتعدى وفقاً للمعاييـر الرياضية درجة الصفر، فلم تترك تلك الجهود المبذولة اي اثر

يذكر في توعية النساء او الرجال في الداخل.
في مجال المشاركاركة في الانشطة المدنية على الصعيد الدولي، فأن مشاركة الوفود من كوردستان لها حظور دائم، لكن بسبب الانتماءات السياسية، والاستفاضة في التبعية، لم تكن تنقل اي معلومات مهمة كي يستفيد منها افراد المجتمع، ولاأحد يعلم عن المعلومات المطروحة في تلك المؤتمرات شيئاً، فتنقلاتهم لا تتعدى حدود التنقلات والافادات الحزبية الضيقة. فإذا كان الهدف من وراء هذه المشاركات دعم قضية المرأة، فلماذا لم يبادروا في خلق مناخ مساعد للتواصل بين كل الانشطة التي تقام في الخارج والداخل، كما نجد على الجانب الآخر، ان الحركات النسائية المتطرفة في الخارج لم تستطع حتى الان من جذب المنظمات الدولية اليها لكي تشارك بدورها في اجتماعاتهم العالمية.
بأستثناء المؤسسات الرسمية الحزبية، لا يوجد في الداخل، اية مؤسسة اخرى تهتم بمسائل المرأة وحريتها، حتى يكون بالامكان دراسة الواقع المعاش ميدانياً، بشكل تفصيلي و بعيداً عن المواقف السياسية، تشارك في توعية الاجتماعية. حتى الوسط الجامعي خاصة مجالي علم النفس والاجتماع لم يبادروا في طرح هذه القضية بشكل جدي.

وفي مجال المحاماة في كوردستان، لم تستطع تخطي حدود القوانيـ العامة، ويفتقدون الى تجربة الطعن في اهلية احد القوانيـ هم يتأرجحون اكثر نحو جانب النظرة المقدسة الى القوانيـ، لذا لم تتحول هذه الشريحة الى جزء من حركات التغيير والاصلاح في المجتمعـ

من جانبي، ارى انه قد حان اليوم، لكي تقوم حكومة كوردستان بدور اكبر و اكثر نشاطاً في مجال هذه القضية، وانت تعمل لاجل استقطاب النشاطات من الخارج والداخل، حث الاساط الفكرية من الداخل والخارج على توسيع دراساتهم وايجاد الاليات المناسبة لتفعيل عملية التوعية الاجتماعية، اضافة الى الاستمرار في اجراء التغيير والتعديل في القوانيـ المجحفة بحق المرأة، ووضع قوانيـ جديدة تتناسب مع التركيبة السايكولوجية في المجتمعـ وضرورة وضع خطوات جدية من قبل الحكومة لاجل تأميـ المساعدات اللازمة وانشاء الملاجيء الازمة للنساء المضطهداتـ

بالطبع لابد كي تستطيع اي حكومة بالقيام بمثل هذه الاعمال ان تكون صاحبة اقتصاد متيـ، وان يكون صاحب مشروع هدفه تسهيل عملية مشاركة المرأة في العملـ ففي وضعية الحكومات الهزيلة والغير منتجة اقتصادياً، يستحيل العمل على

السيطرة على الاوضاع الاجتماعية وتحقيق المساواة. احدى ركائز نجاح دولة الاتحاد السوفيتي، كانت في مجال حقوق المرأة المدنية، ولكنها انهارت مع تدهور الاوضاع الاقتصادية والامنية، ووقعت النساء فريسة التمييز العنصري بشكل مفاجيء، واستضيق عليها مجالات العمل، واستثمرت مئات الالاف من النساء في مجال الدعارة، عن طريق شبكات المافيا، كانت تصدر الى بقية اجزاء العالم، والتي تسمى تجارة الرقيق الابيض.

امر مسلم به، ان الدولة في كوردستان لن تنجح في القيام على اعمار واعادة بناء المجتمع، مالم تواجه بشكل جدي ومن منظور نابع عن الواقع الحي لمعالجة قضية المرأة، وان السلام الاجتماعي والثقة بيـ افراد المجتمع لن تترسخ طالما كان استعباد النساء مستمراً، في هذا الوضع الاجتماعي الديمقراطية والمشاركة الجماهيرية لن تتعدى الشكليات في الحياة الاجتماعية ولن تتحول الى عملية اجتماعية بناءة، الا اذا ما قدرت على ايجاد الحلول الكفيلة لمعالجة هذه القضية بشكل امن وجدي، ان الوعد الذي تعهد به الحركة التحررية في كوردستان على مدار تأريخه، سيجعل الكلام قصيراً ويحق للناس البث في المطالبة بحقوقهم.

ان التمكين من كل حقوق المرأة في كوردستان، لن يتحقق في غصون برنامج عمل لعام او اعوام، فلابد للحكومة ان تأخذذ بعين الاعتبار ضرورة تبلور رؤيا كاملة لمستقبل نصف المجتمع، متزامناً مع التغييرات التي تجرى في القوانين، ان خطوات اليوم لرفع الظلم، سيكون تمهيداً للتحدث عن المساوات الحقيقية في المستقبل القريب، فمن الان فصاعداً لن نستطيع القبول بالعيش يأسين، وعليه ان تتحرر العبيد، حتى تعمل جنبا على جنب مع الرجل في مجتمع انساني، ويفكرا سويةً لابداع مستدام.

نظرة متعمقة اكثر في قضية المرأة في كوردستان

هذه الدراسة تعتبر مكملاً لدراسة اجريتها سابقاً طرحتها في كتابي المعنون(المرأة قضية على مدار التأريخ)، وسوف اضيف بعض الملاحظات المقتضبة، فأتمنى ان يعود على القاريء بفائدة، علماً ان هذه الاوراق سبق ونشرتها باللغة الكوردية في مجلة (تاو) الاجتماعية.

قضية المرأة قضية رئيسية في عملية تكوين المجتمع الانساني. من دون استثناء كل المجتمعات وكافة الثقافات لديها هذه القضية، بطبيعة الحال في كل مجتمع وثقافة تتباين مستوياتها وتختلف مميزاتها، بشكل عام ان مجتمعات الاديان الارضية (بأستثناء الهند) لا تصل مستويات العنف الممارسة ضد المرأة الى درجة تهديد بقائها على الحياة، هذا الاجحاف بحقوق المرأة في كافة الثقافات امتزجت مع المعتقدات والاداب والتقاليد، وعملت الاساطير(المعتقدات السحرية) على شرعنتها.

استهل البشر خطواته الاولى نحو الانسنة، في بداية المراحل التأريخية لنشأته الاجتماعية، ففي السابق كان يعيش وفقاً لغزائزه الحيوانية ويتقدم في الحياة بناءً على منطق الغابة،

والذي يعتبر الركيزة الاساسية لحقيقة الظلم والاضطهاد منذ بداية التأريخ.

هذا البحث يعتبر مكملاً لدراستي المعنونة (ئافرەت، كێشەیەک بە درێژایی مێژوو) الذي نحن بصدد ترجمته الى اللغة العربية، وهذا الفصل يعتبر مكملاً لدراستي السابقة، عسى ان يعاد بالفائدة على الجميع.

اختلاف الوظائف الجنسية بين الذكر والانثى، امر طبيعي لايمكن تغييره او التلاعب به، هذا الاختلاف لا يقلل بأي شكل من الاشكال من قدرات المرأة الانسانية عبر مسار عملية الانسنة البشرية، فقد شاركت جنباً الى جنب مع الرجل عبر تأريخ سحيق، في بناء المجتمع الانساني. كما ان غايتي ليس طمس الوظيفة الجنسية للمرأة، لكن الاجحاف بحقوق المرأة تمدد جذورها الى التربية الاجتماعية عبر التأريخ، حسناً،من اين جاءت هذه التربية؟ سؤال ملفت للنظر، ويفترض ان نتقصى خلف اجابته، ان تأريخ البشرية ليس بتأريخ طويل جداً، لذا نستطيع استنباطه ومراجعته وقتما شئنا. كان البشر في بداية مراحل التأريخ يعيش في جهل مطلق، وفي سبيل البقاء وتأمين راحته [بدافع الغريزة الحيوانية] ، كان يلجأ الى كل الاساليب المتاحة امامه للعمل وانشاء العلاقات، واسهل طريقة لتحقيق

هذا الهدف تأتي من خلال فرض القوة. قوة الرجل الجسدية امام قوة المرأة والطفل، كانت له الغلبة على صعيدين، الاول،ان الرجل استطاع ان يتكفل بالاعمال الصعبة خارج المنزل،ثانياً، قدرة الرجل على الهيمنة. مع مرور الزمن هذا الواقع تحول الى معتقد اجتماعي وتداخل مع مفاهيم التربية الاسرية والقبلية والاجتماعية، وعلى الجانب الاخر حثت الثقافة من خلال دورها على نقل وترسيخ تلك المعتقدات في ذهنية افراد المجتمع. هذا الواقع انتشر في جميع ارجاء العالم حيث ترسخت بأشكال شتى في جميع المجتمعات البدائية ومابعد البدائية، لذا لا نجد مجتمعا واحداً خالياً من التمييز الجندري، مايعني ان هذه المشكلة لها امتداد تأريخي، ولكن ليست كل حقيقة تأريخية خالدة.وان جوهر الاصلاح المستديم في الحياة البشرية، يعود الى ضرورة اعادة بناء العلاقات الغير سوية الممتدة عبر التأريخ.

اذا ما القينا النظر على النصوص الدينية القديمة (بأعتبارها المصدر الوحيد المكتوب المتوفر للباحث)، نجد في التورات حقوق المرأة مرتبطة بالرجل، الى ادنى درجات العبودية، فمصيرها يتحكم بيد الرجل، وهو المسوول عليها، ويحق للرجل الزوج قتل زوجته في حالات الخرق الاجتماعي. في مجال

حقوق الملكية والميراث يحق لها نصف مايحق للرجل. وفي الانجيل يعتبر الرجل سيد المرأة، ولا يرضى الله عن المرأة الا اذا ما رضى الزوج عنها، ولا يحق لها الطلاق من الزوج الى الابد. والمرأة في الاسلام (على الرغم من توفير بعض الحقوق التي لم يخصص لها في الدينيه السابقيه)، الا انها اعتبرت وفقاً للتعاليم الدينية الاسلامية ناقصة العقل والدين كذلك جاهلة، لذا لابد للرجل ان يكون ولي امرها في الاسرة بشكل عام سواءً كان الاب او الاخ او الزوج او العم..الخ، ومن ناحية الملكية والميراث، فأنه يحق لحا نصف ما يحق الرجل، في الاسلام مع وجود اللامساوات الازلية، هناك بعض التعاريف حول المساوات وحقوق المرأة، الا انها عندما تقوم بخرق الاعراف الدينية يهدر دمها ويكون مصيرها الموت.

في الدين الهيندوسي، المرأة وضعت المرأة في ادنى المستويات الاجتماعية وكانت تدفن حياً مع زوجها عندما يوفاه المنية. ويمكن القول نفسه عن بقية المجتمعات والآديان الآخرى، كما ان الاطفال اعتبروا عبيداً لأبائهم ويحق للأب تقرير مصير ابنائه. قصة النبي ابراهيم واسحاق في التورات والنبي ابراهيم واسماعيل في القرأن خير دليل على نظام المُلكيةِ هذه.

هذا التحليل التأريخي الذي استند عليه، نابع من المنطق الذي

هو امتداد لما توصل اليه التاريخ الانساني، انطلاقاً من المبداء القائم على ان قاعدة الاخلاق الانسانية لايمكن ان يبنى وفق مباديء خالدة او سرمدية.وكما اشرت سابقاً، انه كان نتيجة لمحاولات الانسان المستديمة في سبيل البقاء والتكيف مع الطبيعة، لقد اعتمد الانسان خلال دورات الطبيعة التزريخية على البناء الذاتي وكانت النتيجة الدخول في نظام اجتماعي حيوي، النظام الذي امّن للانسان بقاءه، واستمراره في الانتاج، والارتقاء بالحياة نحو الافضل، والتخفيف من قسوة والام الطبيعة، واخذت الثقافة بكل تركيباتها المتشابكة على عاتقها، مهمة المحافظة و نقل تلك الاهداف.اعتقد ان دراسة الاحداث التأريخية، يمكن تعاطيها فقط من خلال دراسة التأريخ. لذا نجد في مجتمع تقليدي مثل كوردستان، يستوجب استخدام الادوات المعرفية التي تلائم نظام المجتمع الفكري والمعرفي، للتمكن على دفع افراد المجتمع على اتخاذ موقف عقلاني سليم.

في المرحلة الحديثة، وقد اجريَّ اصلاحات على الصعيدين الفكري والنظامي، فيما كان المفروض اجراء تعديلات حول انحراف التأريخ، التطور التكنولوجي والمعرفي، افسح المجال امام التغيير الاجتماعي، حيث استطاع الانسان مراجعة

معتقداته السابقة، كما قام مفكروا عصر النهضة (الرينسانس) على تهيئة افراد المجتمع فكرياً لهضم التغيرات التحديثية.
مع ذلك كان الادراك العام لاشكالية قضية المرأة دون المستوى المطلوب، وادى ذلك الى عدم امكانية الغاء اللامساوات الموجودة بين المرأة والرجل في ذلك الحين، فكانت حقوق الانسان عبارة عن حقوق الرجل، واستمرت هذه الاشكالية حتى بدايات القرن العشرين.
استطاع مفكروا القرن العشرون، معالجة هذه المسألة، وتحقيق المساوات بين الرجل والمرأة والعمل في سبيلها.
النظام الرأسمالي بأعتباره انتاج القرن العشرون،لم يجد في مراحله البدائية والاوسطية من تشكله، مصلحة في تبني مسألة المساوات بين الجنسين، تماما مثل عدم ايمانها بالمساوات بين الاعراق البشرية، فقد كانت احياء ممارسات التفرقة العنصرية التي مارستها النظام الاستعماري بحق السود، حصيلة التوجهات العنصرية للرأسمالية، وعدم ايمانها بالمساوات، فمن المنظور الرأسمالي اعتبر العرق الاوروبي هو الاسمى والاذكى بين الاعراق البشرية المختلفة.
ثم في مرحلة التكامل الرأسمالي، اصبحت القدرات العلمية والاجتماعية والتكنولوجية مهيأة لولادة التوجهات الفكرية

الحديثة حول المرأة. وان القدرة الجسدية والواجب الجنسي في انجاب الاطفال، لم تحد من دور المرأة في النظام الانتاجي، واتخذ النمط الطبيعي لحياة الكائنات، طابعاً رسمياً، في المجتمع البشري، واستمر مهمة تربية ورعاية الاطفال في الاجيال الجديدة على عاتق المرأة.

لكن هل يعتبر ذلك واجباً اجتماعياً ام لا؟ ان الواجب الاجتماعي ضمن النظام الاجتماعي، له دلالة واهمية محددة، بدون ذلك لايمكن للنظام الاستمرار وادامة الحياة. ووقع واجب انتاج المنتجيين الرئيسيين على عاتق المرأة. العلاقة الغير المتوازية في التأريخ كانت تبعاتها الظلم، هذه النزعة الغير عادلة ولجت في الفكر الاجتماعي فأعتاد عليه المرأة والرجل على حد سواء.تفاقم واستمرارية الظلم والاجحاف بحق المرأة، حدد مفهوم ودور (المرأة) في المجتمع، ان المرأة نتيجة لذلك الظلم والاجحاف. الرجل نتيجة لافعال التسلط و الظلم على الآخر. هذه الحالة الغير متوازنة في ادارة الانتاج ورئاسة المجتمع اوقع الضرر على المرأة، واستنفد الكثير من الطاقة البشرية.

من خلال التجربة التأريخية ووفقاً للمنظور العلمي المعاصر، يكفي الخطاب المبني وفقاً لمعايير التعاطف والقيم الاخلاقية

الايديولوجية المخلدة، لتحديد حقوق ودور النساء. يجب العمل في سبيل تحقيق هذا الهدف، من خلال تغيير النظام التربوي وتنميتها بالمعلومات الحديثة والتجارب الانسانية المعاصرة. بدءاً من الوليد الذي لايتجاوز عمره شهراً الى الشاب الناضج، يجب تغيير اساليب التعامل مع الاولاد والاناث، واحلال اسلوب التربية الانسانية، محل التمييز الجندري. كما ان الواجب الطبيعي للمرأة في الانجاب، لا يجب استغلالها في سبيل الحط من منزلة المرأة، مقارنة بالرجل، وترك رعاية وتربية الاطفال على عاتق المرأة وحدها.

في لب الثقافة الشرقية، في اربع مراكزها الثقافية، في وادي الرافدين وايران والعثماني والهندستاني، المعتقدات الاجتماعية وضعت المرأة، في موقع ادنى وتحت سلطة الرجل، مما حولتها الى بضاعة وفرضت عليها شكل من اشكال العبودية، وعندما يسلب من الانسان ارادته فأنه سيتحول الى مجرد عبد سرقت منه صفاته الانسانية، العبد هو انسان مسلوب منه انسانيته، لكنها ليست مسألة ازلية، انما مجرد ظلم تأريخي.

جغرافياً تقع كوردستان في عمق حلقة جغرافية واسعة وتعتبر مربط الثقافات الاربع المذكورة، وقد امتزجت الثقافة العربية مع الثقافة الكوردية عن طريق الدين، والاكراد ينتسبون الى

فصيلة قديمة تابعة للثقافة الهند–ايراني، ومن الطبيعي ان نحمل الكثير من عناصر ذينك الثقافات، من ثم خلال خمسمائة سنة الماضية اصبحت منطقة كوردستان تحت نفوذ سلطة جديدة كانت عبارة عن خليط من حضارات اسيا الوسطى وايران والهند والروم لكن لها نفس الدين؛ الاسلام، اجتمعت تحت مظلة الامبراطورية العثمانية، حيث وقعت اغلب منطقة كوردستان تحت نفوذه، هذا يعني اننا تحت تأثير الثقافة العثمانية ايضاً، وعليه يستوجب فهم ورؤية تركيبة ثقافتنا التي نحيا بها حالياً من خلال هذا المنظور.

منح الدين الاسلامي، فرصة الاستمرار في الحياة، وامتزجت مع ثقافتنا القديمة، في ثقافتنا القديمة اللامسوات والظلم بحق المرأة لم يكن آمراً غريباً، لكن مستوى العنف، لم يصل الى حد طمس كيانها او قتلها. وتعتبر القتل تحت طائلة غسل العار من القيم القبلية، التي تمدد جذورها الى ثقافة البدو، واستطاعت ان تدخل الى ثقافتنا من خلال الفتوحات الاسلامية، وهذه القييم لاتعتبر جزءاً من تركيبة الدين الاسلامي. ونجد بعض الاجزاء الكوردستانية التي لم تختلط مباشرة مع حضارة البدو، رغم اسلمتها الا انهم لايمارسون عادة قتل المرأة. ويمكن اعتبار منطقة شرق كوردستان خير مثال

على ذلك. اما الاجزاء الشمالية والغربية من كوردستان، التي كانت بأستمرار تحت سيطرة النفوذ العثماني، نسبياً تأتي في المرتبة الثانية من حيث عدم او ضآلة ممارسة قتل المرأة التعسفي، اما القسم الجنوبي اي (اقليم كوردستان) فأنها على علاقة تأريخية على مدار فترة اسلمتها، مع قبائل البدو العربية، ووقعت تحت تأثير ثقافتهم بدرجة كبيرة، ثم جاء تأسيس العراق ودمج اقليم كورستان معه في دولة واحدة،كذلك استمرار الحركة الثورية الكوردية في النضال، مايعني استمرار توافر الاسلحة في متناول اغلبية افراد المجتمع، اوجدت ارضية خصبة لادامة القيم الاخلاقية البدوية على ارض كوردستان.

النظرة الدونية للمرأة في كوردستان وممارسة عادة قتل المرأة، لاتعود مسبباتها فقط الى الدين، هناك ايضاً الثقافة البدائية للمنطقة واستمرار توافد القيم الاخلاقية البدوية، هو المصدر الاساسي لعادة قتل المرأة. وأن الرجل الكوردي لايقتل الانثى في سبيل الدين، لكن لآجل استرداد الشرف الذكوري يرتكب هذه الجريمة، بالامكان ان نسأل؛ ماذا يعني الشرف؟ وماذا يعني الناموس؟

الشرف في اللغة العربية، هو الموضع العالي يشرف على ما حوله، اي بمعنى المشرف او المراقب او الحارس، حيث يقوم

الرجل من ذلك الموضع بحراسة منزله من الغرباء، كذلك حتى يمنع يمنع اختلاط نسائه مع الاخرين، وايضا يأتي بمعنى منزلة الرجل الرفيعة، ايضاً قديماً كان اسم من اسماء المرأة ومعاني اخرى كثيرة مقاربة لما ذكرناه، هذا الشكل من الحراسة والاشراف لم يكن في مجمله في سبيل حماية ممتلاكته واسرته من غدر الاعداء، بل اساسها نابع من اجل الهيمنة على النساء، حيث ان الرجال الذين ورثوا اباً عن جد، المقدرة على صون نسائهم، يعرفون بأشخاص شرفاء، بطبيعة الحال، كان يزداد منزلتهم رفعةً وهيبة، كلما ازداد قدرتهم علي المحافظة وصون اهل دارهم خاصة النساء، كذلك يجعلهم اصحاب نفوذ على اهالي منطقتهم فهم ايضاً يعيشون في آمان من خلالهم، وهذه الاسر المتنفذة تسمى بأشراف القوم.

مع ان مفهوم الشرف بعد ذلك توسعت دلالاتها اكثر، فأمتزجت بمعاني افعال الخير والصبر وغيرها، لكن جوهر هذا المفهوم يظل مرتبطاً بالمرأة والمحافظة عليها. غسل العار عبارة عن قتل النساء ضمن نطاق الآسرة، اذا ما تجاوزن اوامر رجالهم، او اذا ما كانت لهن علاقة خارج الاسرة او عند دخولهن في علاقات الحب، ويقوم رجال البدو بالتعامل مع مفهوم الشرف حسب رغباتهم، وينتقمون من خلالها من نساء

اسرهم، ان هذا المفهوم علي علاقة معرفية وقيمية مع مفهوم وأد الايناس التي تمدد جذورها الى المجتمع العربي في العصور الجاهلية.

اما مصطلح الناموس (جبريل والوصي والقانون والشرع)وله معاني اخرى كثيرة لايفيد سياق موضوعتنا، وله تاريخ قديم ويقال عن العلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة، وتعتبر المرأة ناموس الرجل، فالناموس يعني ايضاً الوحي او الوصايا السماوية، هذا المفهوم موجود في الانجيل ايضاً، وانزل في القرأن بالمعنى ذاته، لذا فهو مفهوم مثيولوجي قديم، لكن تدريجياً اضيف اليه معاني وابعاد اخرى من اللغات والثقافات المختلفة الذي مرَّ عليهم من خلال الدين.

مصطلح الشرف خاص بثقافة العرب البدوية، وليس لها اية صلة بالدين الاسلامي. لايجوز الخلط بين مفهومي الشرف والكرامة، فالثاني هو حاجة انسانية لبقاء واستمرارية حرية وامن وذاتية الانسان، كذلك لحماية الانسان لاسرته بنساءه واطفاله ورجاله وممتلاكاتهم وحقوق العمل، فالكرامة هو الشرط الاساسي لادامة التوازن النفسي والاجتماعي للانسان، وهي في كل المجتمعات والثقافات لها وجود حيوي، ؟؟؟؟

الكرامة ليست معنى خاص بالرجال فقط، او خاص بالمرأة

فقط، بل له دلالات معانية اوسع من ذلك، فهذا المفهوم له علاقة خاص بذلك الجزء من الثقافة، التي تهتم باللغة والدلالات المعانية، في حياة الناس، في جميع المجتمعات تظهر وتأخذ طابع وخصوصيات ثقافة ذلك المجتمع.

تشكل اليوم قضية قتل المرأة اشكالية كبيرة، وهي بحد ذاتها قيم ومعايير دخيلة ولاانسانية، تمارس في المجتمع الكوردستاني، وتسبب الضرر لمجتمعنا. فهذا البلاء الذي يرتكب بأسم الشرف، لاعلاقة له بمعاني الشرف في المجتمع الكوردي فالكرامة هو المفهوم الاساسي في مجتمعنا. ما يستوجب علينا، توخي الدقة في تفسير وتحليل معاني الكرامة والشرف الانساني، وان لا ننجذب نحو الدلالات والمعاني البدوية الدخيلة، والعمل في سبيل تنقيتها من كل الغطط والمغلطات الناتجة عن سوء فهم والتعامل الخاطيء مع معطيات هذا المصطلح، الذي يتمحور حول الحاق الاذى بكرامة وسلامة المرأة.

في نهاية حديثنا حول مصيبة غسل العار ومفهوم الشرف البدوي، لابد من فهم وادراك مفهوم المرأة التأريخي، ومعرفة الظروف التي احاطت بنشأت. في المرحلة المعاصرة لا يعني الحد من مشاركة المرأة في العمل وفي كافة المجالات الاخرى،

سوى انها افعال عنف ووحشية متناهية. هذا الامر يتطلب العمل على تغيير النظام التربوي برمته، وادخال قيم ومعايير حديثة لتربية الاجيال القادمة، القيم والمعايير التي تؤمن بالمساواة بين الرجل والمرأة، وانهم متساوون في الحقوق والوجود، من دون التمييز الجندري، وذكر الفروقات البايولوجية وتأثيراتها على الحياة الاجتماعية، المرأة هي انسان من جنس آخر، كما، ان الرجل هو انسان من جنس آخر.

المرحلة الثالثة من
الحركة التحررية لنساء كوردستان
يبعث الامل

سوف ابدأ بكتابة ورقتي هذه، بهذا السؤال؛ هل كانت هناك او مازالت هناك، حركة نسائية في كوردستان؟ سأجيب عن هذا السؤال من البداية، ثم اقوم بتحليل الوقائع والبراهين التي تدعم فكرتي حول الموضوع.

في كوردستان لا توجد حركة بأسم النساء عموماً. اذا اردنا معرفة معنى الحركة، فلابد من وجود ضرورة اجتماعية تدفع بشريحة محددة، او قسم كبير من افراد المجتمع، الى العمل في سبيل تحقيق اهداف محددة ومتفق عليها، ويعبرون وينظمون ارائهم لتتحد في سبيل تحقيقها. فأذا ما كانت الشريحة الاجتماعية من مكون نسائي واسع، سوف تتحول مطاليبها الى مطالب عامة لاتدخل ضمن اي اطار ايديولوجي موجود في الساحة. لذا في الحالةِ هذه، تكون نشاطات مناشدي الحقوق الانسانية اوسع من حلقةَ ايديولوجية او شخصية عامة ضمن فرق المجتمع المختلفة، ويحثون الناس على تحقيق الاهداف المنشودة، وكذلك تعتبر المطالبة بحقوق المرأة، احدى ظواهر مرحلة الحداثة (modernity)وجزء من عملية

النهضة، بطبيعة الحال يتحول بعد ذلك ليكون جزء من الوعي المساواتي للرجل والمرأة ضمن المجتمع الواحد. لهذا السبب لا نجد في التزريخ قبل القرن العشرين اي حركة نسائية، كلامي هذا لايعني نكران دور الدين في تحديد الحقوق والعلاقات الاجتماعية الخاصة بالنساء، فهذا حديث اخر واشرت اليها في كتابات اخرى.

بداية المرحلة التنموية الحديثة في المجتمع الكوردستاني، تعود الى الربع الاخير من نهاية القرن التاسع عشر، العصر الذي تنامى فيها براعم الحس الوطني والقومي. في مئوية الحركة التحررية القومية ومع تبلور الفكر القومي (الناسيونالستية)، برزت معالم تنمية سريعة على المجتمع الكوردستاني، لكنها ظلت اسيرة مسائل عالقة لها علاقة بالاستعمار والتبعية. احدى الاشكاليات هي ضائلة مشاركة المرأة ضمن الحراك الاجتماعي. كي يتوضح الصورة اكثر، سوف امر سريعاً، على روضاع الحركات النساذية في اقسام المجتمع المتقدم في العالم (اوروبا، امريكا).

مع بداية عصر النهضة في القرن الرابع عشر في اوروبا، بدء التغيير في كل المجالات الاجتماعية في جميع الدول الاوروبية، وبرزت معالم التقدم في المجال العلمي، التكنولوجي، العلوم

الاجتماعية، العولمة الامبرياليزمية، بشكلها الاستعماري، كانت من الظواهر التأريخية لتلك المرحلة. مع ذلك في عام ١٧٩٢، قامت امرأة تدعى [ميري ويلستون كرافت] بكتابة مؤلف يتكون من (٣٠٠) صفحة اشارت فيها الى وضعية النساء وحقوقها البدائية، وحول التحرر من هيمنة الرجال وحقوق الملكية والدراسة والتعليم. كما هو مبان، بعد مرور ٤٠٠سنة على النهضة، فقط حنذاك اصبحت مسألة حقوق المرأة مدرجة للبحث فيها.

يعرف قرني الثامن والتاسع عشر، بالعصر الذهبي ؟؟؟ ، عمل المفكرون الكبار على اعادة تنظيم الفكر الاجتماعي الحديث وتمحيص وتفسير الحقوق، مع اقصاء دور الكنيست بعيداً، النقص البيِ في اعمال المفكرين النهضوين، يكمن في مفهومهم العام لحقوق الانسان، حيث اعتبروه ما يشمل حقوق الرجال فقط، وعدم اهتمامهم بدور ومشاركة المرأة البته. في ذاك العصر، ومع بدء الثورات الديمقراطية في اوروبا واميركا، واعلان حقوق الانسان، لم يجري اي حديث حول اليات حريات مشاركة المرأة.

كان استهلال الموج الاول للحركات النسائية التحررية (الفمينيزم) من الغرب، فبدأت من خلال كتاب كرافت

واستمر لفترة مائة عام، وفي نهاية القرن الثامن عشر، استهل الموج الثاني من الحركة التحررية، بالعمل من منظور نقدي، وتعديل الفكر الفمينيستي السابق، دققوا في المضمون العلمي اكثر، على اساس المطالب الديمقراطية، وكيفية مشاركة المرأة في الانتخابات والعمل في الحكومة جنباً الى جنب مع الرجل، لتتحول الى اهداف الحركة التحررية. من المهم، ان نأخذ بعين الاعتبار، ان الحركات النسوية، مثلت على الدوام، وتنامت في ظل الايديولوجيات الاجتماعية الداعية للعدالة (الانارشيزم، السوسياليزم، الكولونيزم)، ولهم تاريخ مشترك مع الحركات الاجتماعية العامة. المفكرة والناشطة المعروفة [اميلي بنكريشت]، [فرجينيا وولف] ١٨٨٢-١٩٤١، [سيمون دي بوفار] ١٩٠٨-١٩٨٦، كانت لهن تأثير على الفكر النسائي التحرري. هؤلاء اضافة الى الحقوق، ادركن بعمق مسألة الحرية ودور الثقافة في تكوين مفهوم المرأة وتفسير شخصية مرأة اليوم. اولئك اثبتن، انه بالرغم من اهمية الحقوق الديمقراطية للمرأة، ولكن في ثقافة النظام الابوي (البطريكي)، لاتصل المرأة الى حقوقها الجوهرية في الحرية. لأن هذه الثقافة هي حصيلة تأريخ ممتد من اللامساواة الجنسية(الجندرية)، القائم على اساس تحديد ملامح شخصية الرجل والمرأة في المجتمع،

وتحدد مديات الحرية لكليهما. هذا ما حدا بهم التأكيد على ضرور النضال في سبيل التغيير الثقافي الجذري، بدءاً من المراحل العمرية الاولى في التنشأة الاجتماعية، حول تلقي معاني مفهوم الرجل والمرأة عند الفرد، ليحل محلها معاني الانسنة، بطبيعة الحال، عكست هذه الافكار المتشابكة لدى الفئات المتطرفة ضمن الحركات التحررية الفمينستية، على النضال ضد الرجال، وخلقت نوع من سوء الفهم، مازال اثاره عالقاً في الواقع.

استطاعت نساء العالم الديمقراطي، الوصول الى جميع حقوقها الديمقراطية في المجتمع الديمقراطي، من القرن العشرين، لكن مشألة المرأة ظلت عالقاً. هذه الحقيقة تستدل بها، نساء الموجة الثانية، ومفادها، ان الديمقراطية وحقوق الانسان، يجب ان تعاد صياغتها جندرياً، حتى يكون في الامكان سبكها ثانية على اساس عمبية تغيير ثقافي جوهري. عدم تحقيق المساواة المطلوبة في المجتمعات الديمقراطية، عائد الى التربية الجنسية (الجندرية)، التي ترسخت جذورها عبر التأريخ، نتيجة هيمنة الرجال.

الموج الثالث من الحركة التحررية النسائية(فمينيزم)، تبلورت في اوائل النسعينيات من القرن العشرين، وهي مازالت مستمرة

الى الآن، الموجة الاخيرة استطاعت ان تعالج اشكاليات الفكرية العالقة من الموج الثاني، اضافة الى معالجة الحريات ومشكلة الثقافة، عملوا جاهدين في مجال دور اللغة في تكوين الدلالات المعانية للمفاهيم، وتكوين شخصية الفرد لدى المرأة والرجل، والكيفية التي تعمل وفقها، على زرع فكرة اللامسواة واسس التكوين الشخصية التسلطية في الذات الانساني. على الصعيد العلمي، اضافة الى المراكز الدراسية العلمية العالمية، بعيداً عن تأثيرات الايديولوجيا، بحثوا بشكل متعمق، في اليات التربية البطريكية، وانتاج الشخصية النمطية، والطرق الحديثة في التربية وانتاج الانسان الخالي من النزعات الجندرية. لذا نجد في زمن الموج الثالث لمعالجة اشكالية قضية المرأة، تحولت الى قضية المجتمع المؤنسن، ووجهت نحو الرجال ايضاً. اليوم الدولة الرشيدة هي الدولة التي تعمل في سبيل خلق ثقافة رشيدة وانسانية، كما تنظم لآجلها النظام التربوي الصحيح. نساء امثال؛ [جوليا كريستوفا] و[لويس ايركيري] من الشخصيات الرائدة والمعروفة ضمن هذه الموجة.

اظهرت النتائج العلمية خلال الموجي الثاني والثالث، لما لم تنشأ الى الحي، حركة تحررية نسائية واسعة؟ اكدت الدراسات على مشكلة الثقافة والتربية والعلاقات الاجتماعية في المجتمع

البطريكي، فمن خلال تحليل وتبيان الوضعية الشائكة لموقع وشخصية المرأة، وماتعانيه على الصعيد الحياتي، من قيود وفرص ضئيلة في المشاركة، العمل على الحد من قدراتها، وحصرها وآسرها كي لاتتمكن من اداء دورها الاجتماعي. من هنا يمكن معرفة صعوبة ظهور شخصيات نسائية كاريزماتيكية، ضمن اطار هذا النظام والثقافة. كل العوامل المذكورة لاتعني ان المرأة، بحد ذاتها معدومة القدرات، فأذا ما استبدلنا وضعية الرجل بوضيعية المرأة، فسوف يقع في ذات الحالة. عمل وفاعلية شخصية الانسان مرتبط بالنظام الاجتماعي والتربية تقوم بتأهيله لهذا الدور، ان المعوقات التأريخية، هي التي تقف حائلاً في طريق المرأة، ويمنعها من اداء اي دور قيادي في كل المجالات الحيوية في المجتمع.

ضمن الحركة النسائية، هناك حضور بعض الجبهات ذات الميول اليسارية، التي تعمل وفقاً لأسس الايديولوجيا العدالتية، معتمدة على السياسة الراديكالية، ونجدها متطرفة، كأنها تستطيع من خلال الارادوية تغيير الواقع، لذا لم تكتسب في اي مجتمع من المجتمعات، اية جماهير نسائية، الى داخل منظومتها. نشأت في بعض الدول، الاحزاب الفمنيستية، لكن لم تحقق نجاحا يذكر في الانتخابات، وفشلت على الاغلب،

وخير مثال على ذلك (النموذج الالماني) . من هنا يتضح صدق اراء الموج الثالث، على اعتبار ان حرية المرأة واجب كل المجتمع، ولايتوقف هذا الواجب على النساء فقط. من الواجب علينا، تغيير النظام، القائم على اساس سيادة الرجال و عبودية النساء. لاعطيكم مثالاً من حياتي الخاصة، عندما اجد نجلي ذي الاحدى عشرة ربيعاً، يعطي الحق لنفسه، ليتدخل في اسلوب واتكيت والدته سونيا في اللبس، مع انه يراني من منظور توافقي ومثالي، ويسعى لتقليدي.

الحركة النسائية في كورستان، على صعيد الفكر والتنظيم والواجبات، مستوردة و هامشية، فهي مستوردة من خلال نقل تجارب الحركة اليسارية، ومهمشة لانها تابعة للاحزاب التي تنتمي اليها المنظمات النسائية.

نشأة الحركة القومية في كوردستان، على صعيد الفكر والتنظيم، هي نسخة مقلدة عن الاحزاب اليسارية. لذا هي تتعامل مع قضية المرأة وفقاً لمصالحها الايديولوجية والحزبية، وكلتا الاليتيان، هما نتاج العقلية والتربية البطريكية (الابوية) . في الحقيقة، ان المرأة السياسية، عبارة عن لسان حال منظماتها، فهن يمثلن احزابهن في المجال النسوي، الشيء الذي حال دون، ظهور شخصيات وتجارب يحتذا بها في

مجالهم.

اولى الحركات النسائية في كوردستان، اتخذت الشكل المشار اليه انفاً، وكانت اهدافها على مستوى، نساء اوروبا، وقد مرَّ مائة عام على هذا التأريخ. حول الظهور الاول الحركة النسائية في كوردستان، استشهد الشاعر المعروف فائق بيكاس في احد اشعاره قائلاً؛ (نسرين مرّ زمان وفي القلب منك الما.. ارمي خمارك فهو باعث الخجل..)، يمكن القول ان مناضلات امثال ناهدة شيخ سلام وزكية حقي شاويس، كن ايقونات تلك المرحلة، الحركة الاولى استمر حتى عام ١٩٧٥.

المرحلة الثانية للحركة النسائية بدأت في سنة ١٩٧٦، حيث لحقت بهم، مجموعة من الكوادر الحزبية، اللواتي تميزن بمستواهن الدراسي والتعليمي بشكل عام، مما اثرى البرنامج الحزبي ضمن مجال العمل التنظيمي النسائي. ونرى ضمن الاحزاب المنتمية لثلاث اجزاء كوردستان، الشمالية والجنوبية والغربية، مجموعة نساء ظهرن في الواجهة الحزبية، امثال؛ هيرو ابراهيم احمد، كوردستان بيرداوود، بخشان زنكنة، مريم صديق بك، هفال خَجوّ، كولستان، واسمرت المرحلة الثانية حتى سنة ١٩٩١.

بعد سنة ١٩٩١، وانطلاقة انتفاضة كوردستان الجنوبية،

والتغييرات السياسية التي حدثت في الشرق الاوسط، بدأت المرحلة الثالثة للحركة النسائية، وانفتحت ابواب العالم على كوردستان، في بداية نهاية القرن العشرون، وبداء العد العكسي للفكر الاشتراكي القومي الكوردي، حيث افول الانموذج الفكري الاشتراكي القومي للحركة القومية الكوردية، واكتسح المجتمع الكوردستاني تجارب العالم الغربي.المنظمات النسائية، اصبحت تعمل علناً، وبدأت بتنظيم مؤسساتها ونشاطاتها، في ميدان العمل، على الرغم من فتح ابواب الحكومة والبرلمان، امام مشاركتهن، لكن تلك المنظمات اخفقت في تمثيل قضية المرأة ونساء مجتمعهن، وبقيِ كمنظمات حزبية تابعة لاحزابها.
اتساع عمل منظمات المجتمع المدني، وتجربة استقلال النساء في الدول الغربية، شحذت اعمال مؤيدي معالجة قضية المرأة. خارج الاحزاب نشأت وتطورت المراكز المدنية وارتفع مستوى النشاطات، في اشكال اكثر عصرية، وعلى الرغم من الاختلافات، اخذت المنظمات تعمل ضمن نشاط المجتمع المدني، وجذب المجتمع نحو تأييد جماعي على مسألة المرأة.تميزت المرحلة الثالثة من الحركة النسائية، اضافة الى سيمائها العصرية، بالعمل المستقل، بعيدا عن الانتماءات السياسية، كونها تؤمن بضرورة مشاركة جميع الجبهات من حزبية ولا

حزبية، في سبيل هذه القضية. هذه الحركة تتميز ايضاً، بكونها غير فعالة جداً، واتجاهاتها قريبة من الموجة الثانية للفمينستية. ويمكن الاشارة الى شخصيات، امثال، نزند بكيخاني، فينوس فائق، ريواس احمد، سونيا صديق، كنموذج لتيار يحمل اكثر من اتجاه.

ظاهرة الكوتا(quota) وتعني الحصة او النسبة وهو نظام محاصصة لظمان حقوق الاقليات او النساء، هذا النظام في البرلمان والحكومة، يعتبر خطوة فرضتها امريكا، لضمان مشاركة في ادارة الدولة، وهو نظام معمول به، من قبل الاحزاب الى الان، يمنح للنساء اللواتي يعملن في صفوفهم، ولم يظهر حتى هذا الحي نتائج ايجابية.

على الطرف الآخر، نجد الفمينيست الاسلامي بدأت تخطوا لمارسة نشاطاتها، خلال العشرون سنة الاخيرة من القرن العشرين، مؤيدي الثقافة الاسلامية، بأختلاف اتجاهاتها، تعمل جاهدة في سبيل، ايجاد وطرح الحلول المناسبة لقضية المرأة، في العالم الاسلامي.

ويعتقد هؤلاء، بأن الحل كامن في، الاعتماد على النصوص القرأنية فقط، دون الشريعة.في ايران ومصر والخليج العربي وكوردستان، ادخلت جبهة الاسلام السياسي، تنظيماتها النسوية،

الى العمل في الساحة السياسية والاجتماعية. هذا التيار الاسلامي، متحفظ، ولا يدخل في تفاصيل وخفايا مشكلات المرأة الاجتماعية والثقافية، اما المعالجات المطروحة، فهي في الغالب شكلية وتقليدية. لكن هذا لايعني، عدم وجود جماهير مؤيدة لها، في ظل الظروف الراهنة في المجتمعات الاسلامية. وامثلة الناشطون في هذا التيار، ماركون بدران (مصري امريكي)، كوماري جايا (سريلنكا)، امينة ودود، رفعت سعيد، فاطمة نصيف (سعودية)، غدير الهيني (لبنان)، سردار علي (باكستان)، فاطمة مرنيسي، ليلى احمد (مغرب)، هدايت توكساي (توركيا)، ژيلا شريعت، هالَي سَحابي (ايران)، الاتحاد الاسلامي (كوردستان).

اذا ما، استخلصت شيئاً، فأني اعتقد، ان المسألة يستوجب، الاستعانة بمنظور نقدي، في مراجعة، الرؤيا الضبابية والتطرف والقطيعة الاجتماعية، على اساس تقييمها. والاستعانة بالشخصيات النسائية في المجال القانوني والعلمي، واشراكهن في النشاطات، واظهار دور الانجازات العلمية والاجتماعية على الصعيد العالمي، ايضاً الدفاع عن الشخصيات النسائية، التي تتميز بقدراتها في العمل ضمن المجتمعات التقليدية، كمجتمعنا.

اثر بصمات النشطاء في كوردستان بينة، والدفاع عن النساء المظلومات، اصبح جزءاً من الواقع العملي.

النساء المثقفات والحركة الحرنسائية

في الصفحات السابقة، اشرت الى عدم وجود حركة نسائية فعالة في كوردستان. المشكلة موجودة على ارض الواقع الاجتماعي، وتشكل عقبة هائلة، امام تقدم المجتمع، من الجانب الآخر، هناك ظلم واستبداد بحق نصف مجتمع الدولة، وفقاً لمعايير هذا العصر، هذا الواقع يعتبر لطخة عار لثقافة كوردستان في نظر العالم المتقدم، لذا يستمرون بالضغط علينا ويؤكدون على ضرورة الانفتاح.

منذ عقود، صوت وحقوق النساء في كوردستان، مرفوعة من قبل الحركة التحررية الوطنية. الحقوق التي شكلت جزءاً من تركيبة الايديولوجيا الكورد الناسيونااليزمية، ولم نتبيه، اية ارضية او مبادرة من طرف المجتمع، في مقابل تلك الجهود المبذولة. انغلاق المجتمع، لم يفسح المجال في طريق المرأة،

كي ترفع رأسها، وحرمت من المشاركة المباشرة في صف الحركة الساسية التحررية، هذه الظاهرة، خلقت نفاقاً استمر لعقود، داخل صفوف النخبة السياسية للحركة، ثم شيئاً فشيئا، قسم من رجال الساسة الكورد تحولوا؛ في الخطاب مؤيدين لنصرة حريات وحقوق المرأة، وفي الفعل يستعبد ويقتل النساء، هذا النفاق مهيمن على الاوضاع في الوقت الحالي، لذا المشاركة الحقيقية والفعالة للمرأة في امور السياسة والقيادة، شيء لا وجود له.

في القت الراهن، الارضية مناسبة، لنشأت حركة تحررية نسائية حقيقية، من دون اللجوء الى الارتباط بأنظمة المنظمات الرسمية التابعة للاحزاب، من الناحية المدنية، بعيدا عن التحيزات السياسية، والعمل لأجل اليات تدعم حركة ونشاط النساء، وفي الميدان العملي، مساندة ومد يد العون، الى المنظمات النسائية الرسمية، وحثهم وتوجيههم نحو العمل النضالي الحقيقي. النساد لا يحتجن المنافسة السياسية، لأن قضيتهم انساني، تشمل كل التجمعات السياسية. وان لاتستعيد في مسعاها على بنات جنسها فقط، بل الاستعانة بنفس الحجم على الجنس الاخر من الرجال، انطلاقاً من هذا المبدأ، يمكن التمهيد، لحركة انسانية–وطنية غير سياسية، ينحصر مهامه

على الدفاع عن المرأة ونشر ثقافتها، والعمل على توسيع مشاريع، تمرين المرأة على الدفاع عن نفسها.

دخول الحركة النسوية في مجال المجتمعات المدنية، هي من افضل القنوات القانونية والاجتماعية الغير سياسية، المناسبة لمسعاها. حقوق المرأة غاية عالمية، لذا سيكون من السهل تأمين الدعم والتضامن العلمي لها، اذا ما لم تحصر الناشطات النسوية ضمن اطار سياسات احزابهم، وسوف يكون في مقدورها، التعامل المتوازن مع جميع الاحزاب والمنظمات النسوية، ففي الوقت الراهن الارضية مناسبة، لمد المنظمات النسائية العالمية يد العون لهم، ودعم نشاطاتهم الانسانية على الصعيد العالمي.

ان ثقافة الحرنسائية لن تتوسع ولن تتراكم المعرفة والمعلومات الضرورة في هذا السياق، ما لم تتبلور الحركة النسائية بشكل سليم. وبأستطاعة هذه الحركة، ان تطالب الدعم والمساعدة، من الحكومة والاحزاب، ات تتعاون مع الاوساط العلمية، وتحثهم على القيام بالبحوث والدراسات في جميع ثغور ودهاليز ثقافة كوردستان، وايجاد الخصائص الداعمة لقضية المرأة، لأقناع الرجال والنساء المتحفظين، وكسب المؤيدين، وحث اعماق المجتمع وبناء عش في كل دار. لأجل قضية المرأة، لابد من طرق

كل الابواب بروية وسلام بعيداً عن العنف، لن تأتي حرية المرأة عن طريق ممارسة العنف بأية حصيلة، فقط عن طريق الحوار والاقناع ونشر العي والمعلومات، يدفع المجتمع نحو الاقبال على التفكير الانساني، وركن القيم القديمة التي عفا الزمان عنها على جنب، والاستجابة للقيم الاخلاقية المعاصرة.

ان جميع الاشكاليات الانسانية المعاصرة، تقع في ساحة عمل الدراسات العلمية، وهي بدورها تعثر على افضل السبل لمعالجتها. من هنا تقوم الفئة المفكرة في المجتمع، على التفكير في قضايا مجتمعهم، ما يجعل كل الاساليب الذي يتبعونه امنة وبعيدة عن العنف والعاطفة والقرارات لايديولوجية. لايوائم التفكير الايديولوجي مع هذا الزمان، فهي غير قادرة على ايجاد اية معالجات للقضايا والمشاكل المطروحة، من السهل على الحركة، التعاطي مع الاوساط الدينية، واشراكهم في حوارات واسعة المدى على مستوى البلاد بأكمله، مواجهة النخبة الدينية يؤدي الى اجبارهم لايجاد الحلول، لقضية اصبح غاية لجماهير مؤمنة، يجب التوفيق بين الحرنسائية والايمان، ومطالبة رجال الدين، لايجاد معالجة للقضية دون الخدش في الدين، وضمان الحقوق الانسانية للمرأة، انا ضد تعريف مشكلة المرأة على انها فكرة ومحاولات مضادة للدين،

لأن المرأة المؤمنة لها حقوق ايضاً، ويستوجب انضمامها للحركة المدنية! لو تسزلنا كيف يحدث هذا؟

البحث عن الاجابة الصحيحة، يكمن في اضطرارنا على الاستعانة بالعلم محاولين طرح الافكار والاراء من خلالها، فمن هذا المنطلق سوف يكون القضية قضية الجميع، حتى وان كان هناك اختلافات في التفكير، فهذه افضل طريق لتعريف حقوق المرأة الانسانية.

على الجانب الاخر، حقيقة ان النظام الديمقراطي لن يتحقق او يتنامى، مالم تتحقق حقوق المرأة الانسانية. ان الخطوى الاولى نحو النظام الديمقراطي، تأتي من خلال التعددية والمشاركة السياسية، وهذه المشاركة لن تأتي مالم تشارك المرأة فيها مشاركة حقيقة، وهناك حقيقة جوهرية، وهي ان العملية الديمقراطية في الشرق والمجتمعات الاسلامية فشلت لهذا السبب، معتقدة ان النظام الديمقراطي يمكن ان تفعل، من دون نصف افراد المجتمع، وهذا غير ممكن.

ان الخطوات نحو الديمقراطية يلزم النزول الى داخل حياة الناس والمساواة في الحقوق والمشاركة والتعليم اللزامي. لايمكن لزي تنمية اقتصادية او انسانية ان تبداء مالم تتحرر المرأة، ان اغلب ثروات البلاد وطاقات ابداع الرجال تذهب هباءاً، بسبب

من خلال الهيمنة على النساء، نصف المجتمع ينشغل في كيفية السيطرة على النصف الآخر، هذه الحلقة المفرغة مستمرة في حياتنا. يجب المحاولة من قبل الجميع لفهم الموضوع، مثلما ملزم علينا نحن جميعاً، ان نشارك في التربية والرضوخ للقانون، الديمقراطية من دون النساء هي ديكتاتورية جندرية، عليه يترتب على الحركة الحرنسائية، ان تستغل سلاح الديمقراطية وتضعها في فخ النقد وتثبت مدى خوائها.

من دون مشاركة المرأة، لن تتحول الحركة السياسية، الى حركة اجتماعية حقيقية، الناشطات في مجال المرأة، يجب ان يوجهن حواراتهن نحو صميم الحركة السياسية، ويطالبن بضرورة مراجعة وجهات نظرهم، وعلى الصعيد النفسي، تنقية ذواتهم من النفاق الايديولوجي القديم، ذلك النفاق، الذي يؤمن بحقوق المرأة كلامياً، ويرميها خلفه عند التطبيق.

يجب على النساء المتنورات، الدخول مجدداً، في مناقشة، مشروع الحرية وتأسيس حركة اجتماعية، مدنية، قانونية ولاسياسية، التي تسخر كل مساعيها في سبيل القبول بأنسانية المرأة.